الاديب العربي

مهداة الى الحبيب الوفي جورج صيدح



... **وينسج** الفيالج على نفسه بيده . ويلف صدره في مخانق الضيق
ويشد ... كأنما بينه وبين نفسه ثار الدم وعداوة الزمن .
ابغض المبغضين اليه نفسه ... يطردها طرد الغرباء .
يزج بها في سجن الصمت ، لا للذة التمتع في هدؤ الاقامة ،
بل لمتعة الانتقام في قساوة الجفاء .

... وتشق الدودة عتمة الفيلجة . ويحطم السجين
قضبان النوافذ ، أما هو فقد ختم على السكون نفسه ختما .
وضعها في القمقم الحديد ، وسدَّ بالطين . منع عنها النور
والهواء .

... ويشكو القدر وقلة الانصاف في روح القدر . ويتذمر
ويتململ .
غضبان من غير قدرة الغضب . ثائر من غير ثورة الاقدام
حبسها ، البريئة ، ثم حصَّن الظلماء حولها تحصين الابد .
قطع عنها الماء كل الماء ، والغذاء كل الغذاء ، كانه في جيل
النخاسة ... واية نخاسة اقسى على النفس من هذه
الاسواط التي صفع بها الكاتب العربي وجهه واسارير وجهه .
سوّى نفسه في مواكب الحشد مطية المطايا في اغراض الناس
كلمته من غير قلبه . اوراقه من غير شجرته . ثمرته من
غير بستانه : وفي قلب بستانه مقبرة دفن فيها نفسه .
ثم وقف عند شاهدة القبر ، يستعطي ...
لم يترك عابرا الا مدَّ اليه يده ...

متى يمزق الكاتب العربي فيالج الليل عن جنبات نفسه ؟ !
متى يفتح لنفسه طاقة الصباح ؟ ! متى يكتب ، ليكتب ، لا
ليستعطي منازل الرضى ومسارب الجود
متى يزحزح عن القبر في قلب البستان حجر الموت الصامت ؟ !
متى يدرك ان المبدأ هو اعتناق الحقيقة ، ؟ ! وان
الحقيقة حقيقة القوة ، والرجاء ، والجمال ، والبطولة المعطاء ...
... ونفس تحطم قناطر الخزف لتقف على الانقاض اعمدة ضياء

ولن تتم لنا في وطننا المعجزة الا يوم تخرج نفوسنا
من بئر العجائب ، في دلو النور ، الى موائد الحياة ...
يوم ندك الاسوار التي اقمناها . ونشق الفيالج التي نسجناها
ونرفع الشبح عن باب القبر ، ونحطم الطين عن القمقم الحديد

... يكاد يختنق في نفوسنا الهواء ... والادب هواء ..
والحياة كل الحياة قطعة ضياء تتنفس في الورق تنفس الهواء

الياس خليل زخريا

المعارف نظام

بقلم محمد اديب العامري

الاستاذ محمد اديب العامري اديب عالم معروف له عدة مؤلفات قيمة ، سبق ان نشرت له الاديب عدة مقالات ادبية وتوجيهية . كان تخصصه الاول وعمله « المعارف » وقد ظل فيها الى منذ سنتين بمنصب « وكيل وزارة المعارف » بالاردن ومنها انتقل الى عمله الحاضر كوكيل لوزارة الانشاء والتعمير . اما دراسته ، فقد تخرج من الجامعة بشهادة في علم الحياة « البيولوجيا » ولكنه درس مع ذلك التربية وعمل معلما ، ثم درس الحقوق وتخرج فيها . اردنا من ذلك ان نوضح للقراء الفرق بين ما كانت تنشره له الاديب بدافع ميله الخاص الى الادب والاجتماع [ومن هنا كان كتابه في القصص] وبين هذا البحث الذي ننشره هنا .

*

اقصد بكلمة « المعارف » ما تميل بعض الدوائر الثقافية الى تسميته « التربية والتعليم » ، أي الكلمة الاجنبية: Education . واقصد بكلمة « نظام » الانجليزية : System . وهذا الراي الذي اسوقه اليوم هو فكرة خاصة اثق انها صحيحة ، وان الظروف الحاضرة التي يمر بها التعليم في الاردن والبلاد العربية ، التي توازي مرحلته التطورية او تتقدم عليه ، تملي تفهم هذه النظرة والاخذ منها بقدر يلائم الوضع الذي بلغته المعارف في اي بلد من هذه البلاد .

وربما كان الذي يحفز المرء على الشعور بهذه النظرة هو الازمات التي اخذت الاردن ، كما اخذت مصر وسوريا والعراق ولبنان ، تعانيها في نظم تعليمها . وتنجم هذه الازمات اول ما تنجم عن ان خريجي المعاهد التعليمية في البلاد من ثانوية وعالية عامة لا يجدون لانفسهم احيانا كثيرة اي مكان في المجتمع العربي في هذه البلاد ، أو انهم لا يجدون لانفسهم المكان المناسب . ويقع ذلك في درجات مختلفة ومتفاوتة بين قطر عربي من الاقطار التي ذكرناها وقطر آخر .

واقل ما يمكن ان نقوله في هذا الصدد هو ان خريجي هذه المعاهد يعملون في حقول تسبب اضطرابا في التوازن اللازم بين الاجزاء التي يتركب منها المجتمع العربي ، كما يجب ان يكون عليه في العصر الحديث ، وان الازمة الحادثة في حالة خريجي المعاهد العليا الاختصاصية كالطب والهندسة والصيدلة والزراعة تكاد تكون منعدمة ، او لا اثر لها بتة ، لان خريجي هذه المعاهد يجدون لانفسهم مجالات فسيحة في الاقطار العربية سواء في ذلك الاقطار التي ذكرناها او غيرها من الاقطار التي تتخلف عنها في هذا المضمار . ووجود هذه المجالات هو احد الادلة على صحة النظرة التي سأبسطها في هذه الكلمة .

ان نظرية التعليم في البلاد التي ذكرناها ما تزال مندفعة مع نظرية التعليم في العهود العربية القديمة او في العصور الاوروبية الوسطى الى ما قبل منتصف القرن الثامن عشر ، حين كانت المدارس كلها من النوع الاكاديمي الذي يخرج طائفة من المتعلمين ، الذين كانوا يؤلفون طبقة ممتازة من رجال الدين او النبلاء او القادة الذين يرودون الراي في مجتمعهم ، او يحكمون البلاد في الداخل والمستعمرات تخضع لها في الخارج .

وكانت مناهج هذه المدارس تهتم بمواد الدين واللغة والآداب والتاريخ والجغرافية وما يتصل بالعلوم الاجتماعية والرياضيات البحتة . وكانت الحرف والصناعات والتجارة تزود بالموهوبين او الوارثين او الذين يثقفون هذه الاعمال عن طريق عملي بالتعلم من اصحاب الحرف وغيرهم ، دون اية ثقافة اخرى تلحق بها .

هذه هي المدارس التي سادت العصور الطويلة السابقة في تاريخ البشرية حتى عهد حديث ؛ ولا يعتبر هذا الاخير الا جزءا يسيرا من تلك العصور .

ومن الجدير بنا قبل ان نسترسل في بحث الفكرة التي افردنا لها هذا المقال ان نتفق على بيان الغاية من التعليم ، لان ذلك يسهل علينا ادراك المقصود من فكرة « النظام » System التي لا أصف بها الا الجهاز الصحيح الكامل للمعارف ، او التربية والتعليم .

جلي للقراء الاخصائيين ان هنالك تعاريف كثيرة لعملية التعليم ، ولكن التعريف الذي يروق لي اكثر من غيره هو اعداد الطالب ليحيى حياة راضية في المجتمع الذي يعيش فيه . ونترك الآن التعقيدات الكثيرة التي قد يعترض لها هذا المقال ان هو عرض للمقصود من « الحياة الراضية » ،

كما نترك البحث في نوع « المجتمع » من النواحي الاخلاقية، اذ مما لا شك فيه ان المجتمع يجب ان يكون سويا ، وان يستهدف الكفاية والسعادة لكل عضو يعيش فيه ، كما يجب ان يستهدف الرقي الصحيح ، والهدف العالي .

ومما لا شك فيه كذلك ان المجتمع من حيث وسائط العيش التي توفر الحياة لافراده هو تركيب معقد يتألف من اعمال عديدة وحرف كثيرة لا حصر لها ، واعمال تجارية ذات تنوع كبير وصناعات كبيرة ومتوسطة وصغيرة ليس الى الاحاطة بها هنا من سبيل . ويكفي القارىء ان يتخيل ذلك بان يعدّ مثلا ما يقع في شارع في مدينة من مكتبات ودور للسينما ودكاكين للبيع ومخابز ومصانع ومعاهد ونواد .. وغيرها .. وغيرها .

ان اجهزة التعليم الحديثة لا تقوم بمهمتها حق القيام الا اذا اعدت الطالب (او الطالبة) للحياة الراضية والانسجام في المجتمع . واجهزة التعليم الديمقراطية الحديثة انما تنشأ على اساس ان تشمل الشعب كله . وليس من المعقول ان تعد طلابها على الاسس القديمة التي قامت عليها المعاهد الاولى التي اسلفت الاشارة اليها ، والا خرجت عن المقصود من هدف التربية والتعليم .

وليس يطابق هدف التعليم كذلك ، ان يتعلم جزء من الشعب ويهمل جزء آخر لان هذا اصبح الآن غير ممكن لاسباب عديدة ، ليس اقلها اهمية ان الامم التي تريد ان تنافس غيرها ، وتشارك في خدمة الحضارة ، يجب ان تدخل المضمار بعدتها كاملة . فالغاية اليوم هي ان تعلم الشعب كله ، ولا فرق بين بنت وصبي ولا بين فئة وفئة .

واذا نحن اعدنا النظر في الحرف والصناعات والمهمات وجملة الاعمال التي يقوم بها المجتمع امكن تصنيفها الى اصناف ثلاثة تطابق الملكات العامة التي نجدها في الطلاب والطالبات . فمن هذه الاعمال ما يعتمد اول ما يعتمد على الفكر ، مثل عمل المعلم مثلا ، ومنها ما يعتمد على اليد والميل التكنيكي مثل عمل المهندس الميكانيكي ، ومنها ما يقع بين هذا وذلك ، مثل عمل النجار الذي لا يعتمد على قوة فكرية عالية ولا على قدرة فنية من طراز رفيع .

ومما يذكرنا بهذه الملكات ان الانجليز قد صنفوا ، بحسب قانون المعارف الجديد عندهم ، المدارس الثانوية الى ثلاثة اصناف ، فمنها المدارس الاكاديمية التي يسمونها Grammar Schools ، والتي تشبه اغلب المدارس الثانوية في البلاد العربية ، ومنها المدارس المهنية التكنيكية Technical التي تهتم اهتماما ملحوظا بالحرف والصناعات ، ومنها المدارس الحديثة Modern التي تعتبر وسطا بين النوعين الاولين . ويختارون للمدارس الاكاديمية اذكياء الطلاب والطالبات في النواحي العقلية ، بينما يختارون للمدارس التكنيكية اذكياء الطلاب الذين يميلون الى هذه النواحي الفنية ، ويختارون ما دون ذلك للمدارس الحديثة الثانوية .

ومن المفروض بمقتضى هذا التقسيم ان تقسم ملكات الطلاب والطالبات وميولهم الى ثلاثة الاقسام التي اشرنا اليها ، ولكن هذا الفرض غير صحيح بالطبع، لان الفيزيولوجيا البشرية وعلم النفس يعلماننا ان لا حد لانواع التراكيب العصبية للاجهزة الآدمية ولا حد للميول النفسية ، اذ الواقع هو ان كل انسان يختلف نوعا من الاختلاف عن كل انسان آخر ، ولو كان هذا الاختلاف بسيطا .

فقسمة القانون الانجليزي لملكات الطلاب الى هذه الاقسام الثلاثة هي الاقسمة عامة ملائمة ، و « عملية » ، كما يقولون . وهي افضل بمراحل من « القسمة » التي نعتبر بموجبها في مدارسنا العربية ان الطلاب جميعا متشابهون ، فهم يساقون اذن الى مجرى واحد هو مجرى المدارس الثانوية الاكاديمية التي تؤدي الى الجامعة . فاذا اعترفنا بالميل الى الصناعة ظننا ان هذا الميل هو نصيب الطلاب الخاملين غير الاذكياء الذين يقصرون عن اللحاق باخوانهم في المدارس الاكاديمية !

واذا صح ان الطلاب يختلف احدهم عن الآخر بحيث لا نجد طالبين متشابهين تماما وهذا صحيح ، واذا كانت الطريقة المثلى لتعليم الطالب هي مسايرة ميوله وملكاته ، وهذا ايضا صحيح ، كان معنى ذلك ان نفتح مدرسة خاصة لكل طالب . ولكن هذا غير ممكن بالطبع ، ولو امكن لكانت له محاذير من نواحي اخرى ، فيظل الصحيح من هذه الناحية النظرية ان تكون انواع المدارس اللازمة في انظمة التعليم كثيرة جدا الى حد يقارب ملكات الناس . ولكن هذا صعب ايضا ، ولذلك عمد الانجليز ، كما عمد غيرهم من بعض الامم ، الى هذا التقسيم العام لملكات الطلاب الى ثلاثة الاقسام التي ذكرناها قبل قليل .

وما يصح على المدارس الثانوية يصح على المدارس الابتدائية ، وما بعد الدراسة الثانوية ، بمقدار ما نستطيع اكتشاف ملكة الطالب او ميله .

ان الذي يقع في معظم البلاد العربية التي تطورت انظمة التعليم فيها اكثر من غيرها ان انتشار التعليم فيها يقع على شاكلة واحدة . فالمدارس التي تفتح كل عام هي مثل المدارس التي تفتح كل عام سالف ، مدارس من النوع الاكاديمي الذي يتخرج فيه الطالب من مرحلته الثانوية فيطلب « وظيفة » في الادارة الحكومية او مثلها ، والذي يتخرج فيه بشهادة عامة من الجامعة متوجها الوجهة نفسها . وهذه العملية هي تكرار لعملية القرون الوسطى ، ولكنها تقع في القرون الحديثة التي ارتفعت فيها مستويات العيش وتعقدت مطالبه . ولذلك لا تلبث هذه العملية ان تحدث الازمات التي نلاحظها الآن ، من تعطل عدد ملحوظ من شباب الطبقة المتعلمة ، ولا تلبث معها اجهزتها الاجتماعية المختلفة ان يظهر فيها الخلل وتتوقف عن الدوران .

فنحن مسوقون اذن الى تعديل اجهزة التعليم في بلادنا تعديلا يتلاءم مع مكتشفات العصر الحديث في الفيزيولوجيا وعلم النفس ، ومع مقتضيات هذا العصر في

الاقتصاد والحياة ، والا ادت النظم الحاضرة الموروثة الى اختناق تام يضاف الى بعض الاختناق الذي نحس به الآن .

ولذلك ندعو البلاد العربية الى النظر السريع في انظمة التعليم القائمة في بلادها على الهدي الجديد . والارجح ان تكون دعوة البلاد ، التي تطورت نظم التعليم فيها عن الدور البدائي ، الى اتخاذ حل يشبه الحل الذي عمدت اليه بريطانيا في قانون معارفها لعام ١٩٤٤ ، غير مشتطة ولا بعيدة المنال ، بل من الضروري ان ناخذ بها او بمثلها دون ابطاء .

على اننا لا نغفل ان بعض نظم التعليم في البلاد العربية المتقدمة على غيرها ، مثل مصر ، قد عمدت منذ عهد غير قريب الى انشاء المعاهد المهنية والخاصة . ولكننا لا ننسى كذلك ان تطبيق هذه النظم كان منطويا على اخطاء كثيرة في اغلب الاحيان . اذ ان اختيار الطلاب الخاملين للتعليم المهني قد ادى الى تخرج طبقة كابية من المتعلمين ، احسئت نقصا نفسيا فوق النقص الذي احست به منذ ملنا بها الى هذا النوع من التعليم ، فكانت نتيجة ذلك ، مع ما هو موروث عندنا من احتقار للعمل اليدوي ، فشلا ذريعا للتعليم المهني الذي يقصد به ايجاد منفذ لملكات الطلاب وميولهم ، وتعبئة ثغرات في حاجات المجتمع العربي الحديث .

اننا اذا قسمنا المدارس التي نقيمها الى ثلاثة الاقسام الملائمة التي اشرنا اليها نكون قد فسحنا مجالا اوسع لملكات الطلاب وميولهم ، وجعلناهم اكثر سعادة في دراستهم ، وقربناهم كما ذكرنا من خدمة المجتمع الذي يعيشون فيه . وهذا يقتضي انشاء المدارس الزراعية والصناعية والريفية والتجارية ، وغيرها مما يحتوي على اكثر من تخصص واحد في هذه الحقول ، اذ قد تكون المدرسة زراعية صناعية مثلا تتلون مناهجها بحاجة المجتمع الذي اقيمت فيه . ومن الضروري بطبيعة الحال ان نختار الاذكياء لهذه المدارس على الصورة التي نختار بها الاذكياء للمدارس الاكاديمية .

على ان انشاءنا للمدارس على هذا النحو يقضي بان ندخل النشاط المهني في مناهج التعليم منذ بدايتها ، حتى اذا برزت لنا ميول الطلاب منذ الصغر استطعنا في الوقت الملائم ان نوجههم الى المدارس التي يجنون منها اكبر الفائدة .

فنحن اذن لا نفسح المجال لبروز الميول والملكات طوال عمر الطالب في حياته المدرسية فقط ، بل نفسح المجال حتى يشمل ملكات الناس جميعا . اننا نتجه في هذا السبيل طولا وعرضا .

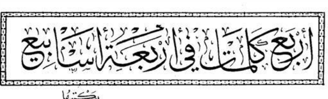
وهذا هو طرف الفكرة التي اسعى الى ايضاحها في هذه المقالة . ان المعارف نظام . ان نظام التربية والتعليم الصحيح يشبه فلسفة الفيلسوف اذا كانت فلسفته كاملة . انك لتحيا الحياة التي يرسمها لك الفيلسوف وتحمل مثله واهدافه فتحيى حياة راضية مليئة . وكذلك المعارف اذا كانت نظاما تاما . يجد فيها الطالب والطالبة طوال عمره ما يمكنه من دراسة ما يريد وما تميل اليه نفسه . ويجد في المجتمع تجاوبا مع هذه الدراسة فيشبع بذلك ميله اكثر ما يمكن ، ويحصل على التجهيز اللازم للحياة .

وكلما قربت المعارف من ان تكون نظاما كان عدد المدارس فيها كثيرا يحيط بملكات الطلاب وميولهم ، فيجد كل طالب نوعا من المدرسة يلبي حاجته ، وكانت الفرص كاملة يستطيع الطالب معها ان يتابع دراسته في اي وقت يشاء ، وفي اية مرحلة اراد . يبدأ التدريس من اصغر سن في دور الحضانة الى اكبر العمر في اعلى سنوات الجامعة . من المهد الى اللحد . ويمكن التدريس في اي وقت ، فيجد كل انسان في المجتمع ما يلبي حاجته في اي وقت يتمكن منه . يستطيع الدراسة في اوقات الفراغ وفي الليل وفي النهار . ان الطالب كله يتعلم ، والوقت كله يطيعه ، والمراحل كلها تخضع له ، وانواع الدراسة كلها تتوفر له . هكذا تكون المعارف اذا كانت نظاما . والمعارف الصحيحة نظام .

ولست استطيع ان اتصور بسهولة نظاما للمعارف كهذا الذي وصفت تتنوع مدارسه بمقدار ما تتنوع الميول البشرية ، ولكنه كلما اتاح هذا التنويع اقترب من صفة النظام الصحيح .

وانا ادرك كما يدرك القارىء الكريم ان المعارف على هذا النحو لا تتوفر الا لمجتمع كبير . ومن هنا كانت الوحدة العربية دائما مطلبا من المطالب اللازمة التي تصطدم بها كلما طلبت وجها صحيحا من وجوه الحياة في البلاد العربية . ان فكرة « المعارف نظام » تقتضي كما اشرنا عددا عديدا من المعاهد العلمية المتنوعة التي يجد فيها كل طالب ، مهما كان ميله غذاء لاستعداده وميله ، كما تقضي بان تخضع الدولة او المجتمع المدرسة لحاجة الطالب من حيث الوقت والدراسة الخاصة . ولما كان الاستعداد والميل يختلفان بين انسان وانسان ، وكانت اعمال الناس في حياتهم اليومية متطابقة في الوقت ، فان تعدد المدارس واختلاف مناهجها ومواقيت عملها يتبع هذه الفروق ، كما يتبع الفروق الفردية بين طالب وآخر ، مما يقتضي في ذاته مدارس خاصة ذات مناهج واساليب واستعدادات خاصة كذلك ، كمدارس العمي والصم وضعيفي العقل ، ولا تقصر المجتمعات العربية بتجزئتها الحاضرة عن الانصياع لنظام صحيح للمعارف (ما عدا مصر في الارجح) ، بل هي تقصر احيانا عن ان تحتمل نهضة فكرية او قدرة على النشر او قوة على القيام بأود نفسها .

عمان **محمد اديب العامري**



يكتبها
الياس خليل زخريا

●

ودخلنا، مع الصبح، الكنيسة القديمة في الحي الشرقي.

لم يكن الا الكاهن والقندلفت وبعض العجائز المتلفحات ... بسواد العمر على سواد الألم ...

وشمعة بيضاء ، مضاءة ، وحدها ، في رأس الشمعدان الجنوبي .

وقليل من الهواء يتمرمر بين الاعمدة العالية ، في الباحة الرخامية . وقليل من البخور في رماد السحر .

... وتقدمت نحو مذبح الهيكل الى كرسي الاعتراف .
وتقدم في ظلها يتثاءب خطوه فيسد على الهواء العابر مرح المرمر الابيض الأخضر
وانحنت الانحناءة التقية ، المستسلمة ، ورفعت جبهتها الى فوق .

وحركت باصابع اليمين، على صدر صدرها، اشارة الصليب ورسم ، هو ، مثلها ، على هواء صدره اشارة الصليب

وتقدما ... يمسك بشماله، بينه، وبينها، طفلتهما النحيلة.
ثلاثة واقفون في قلب الهيكل عند كرسي الاعتراف امام الكاهن المنتظر ... واحد يود لو يذوب مع الشمع والبخور وجراح الناصري في حروف الكتاب المقدس ... وواحد يود لو تذوب دفتا الكتاب في نفسه شمعاً وبخوراً ودماً مقدساً يسيل قبل الفجر على الجلجلة من المسامير الدامية القاسية ... وواحد يمشي على الرخام بجدائله المجدلة وحذائه الابيض ، الجديد ، يخاف ان يزلق فيشد بيد ابيه ويتمسك برداء امه ويسأل : عن ، القربانة ، الطيبة ... لنقرأ في هذا الكتاب ...

وفتحناه ، عفو الفتح ، ففي كل صفحة من صفحاته صلاة تقرأ ، وندامة تقال ، وغفران يطلب ، ودعاء يستمطر الرحمة ، في التضرع ، على الضعف ، من بركة القوة .

وجلسنا نقرأ... وكانت هي تحتسي الكتاب احتساء... ترتشفه بعينيها ارتشافة، الرمل، والعطش، مساكب المياه. تسربت فيه الى أبعد البعيد مما رأيتها تتسرب . يقف وجهها على كل كلمة ... وتتجمع في عينيها كل كلمة . ويخرج من هدوء شفتيها الهمس الطيب ، الهاتف المترنح في كل كلمة . وتتنفس اصابعها على ضفتي الكتاب تنفس الامل السرمدي في تنفس الكلمة. ... وامسح خدي خطفاً بضفتي هذا الكتاب ... ... امسحهما مسحاً باطراف الاصابع الحمراء الحالمة . واقرأ معها على مهل ما تقرأ . واطلب معها على مهل في التأمل ما تطلب ... وارمي بنفسي في التضرع بين يديها على فتحتي الكتاب القديم .

كانت قوية، منتصبة، كأعمدة الهيكل، في وجه الهيكل.
... كأنها الثريا ، البلور، القديمة، الثقيلة، المعلقة، فوق،
.... عند الجرس ، في حلقة القبة المتعالية ....
وانحنت عليَّ ، ثم انحنت على ابنتها ، ثم نهضت
وحدها الى الكاهن ، وكأنها ذاهبة الى فيء الله
الواقف هناك في كرسي قديم من الخشب القديم .
وجلست في كرسيها امامه مطأطئة الرأس .
ثم قرأ قراءته ، ثم بسط ، على رأسها ، بطرشيله ،
ثم رأيتها تقبّل صليبه ، ثم رأيتها تعود ..
ثم رأيتها ورائي تنظر نظرها الي ، وانا أتقدم .
ثم رأيت رأسي تحت البطرشيل ، ثم رأيت فمي
يقبل صليب الكاهن ، ثم رأيت ابنتي تسرح وتمرح مع
البخور والظل على سجادة الكنيسة الكبيرة الملونة ،
ثم رأيت نفسي احمل ابنتي وتتقدم الى درج
المذبح ، في سر الاسرار ، تتناول من يد الكاهن
في ملعقة الذهب ، من الكأس المغطى ، الخبز والخمر .
ثم رأيت القندلفت يقدم لنا صينية القربان الابيض
ثم رأيت العجائز السوداء تنظر فينا مليا ....
ثم رأيت واحدة تتقدم الى ابنتي تقبل يدها ...
ثم رأيت ابنتي ، تبكي ، وتخاف ، وترتجف ...
ثم رأيت نفسي استيقظ فأخاف وارتعش ...
ثم رأيت جدران الهيكل تضطرب في جدراني اضطرابا

ثم رأيت يدا عنيفة تشد بي الى الخارج
... تدفعني الى الباب ، الرتاج ، الى مدخل الكنيسة ،
الى ضوضاء الناس ، الى حيث لا أرى الناس ،
ثم أخذت واحدة بيدي الشمال وواحدة بيدي اليمين.
ثم خرجت معهما على الصمت اجر ورائي على
أصداء الهيكل اشباح النفس الهاربة المتعبة .

* *

... نحن في دارة الكنيسة . ولكنيسة الحي الشرقي
دارة مسورة من غير عشب ومن غير شجر .
ووقفنا ، لمعة ، ننظر في الحجارة ، وننظر في التراب .
ونستمع الى اصوات التضرع المتسربة مع عبق البخور
من قناطر الهيكل والنوافذ وقبة الجرس الصامت

ايها التراب

ايها الصمت البارد المتجمع على الزمن البارد
ايها الضنين المتلبد حوالي الهيكل بمسحاة الالم ..
تصلبت فيك تضرعات المتعبين وانات المرضى والعجائز
انت محطة الشاردين ، عند السحر ، من كرسي الاعتراف.
انت ملجأ الهاربين من ضمير الشك في كتاب الخوف .
لتتحرك فيك ذاتك ايتها التراب ، الانسان ، الذات .
منتصبة نفسي منذ الازل في خلية نفسك الازلية
وقفت فيك ولم أتحرك . تسمّرت فيك ولم أبرح .
البخور الطيب من غرسك . والشمع المضاء من قفيرك
... خمرك في هيكل الدوالي هو الخمر ...
... وخبزك في بيادر السنابل هو الخبز ...

... أيها التراب العميق ...

أنت الكاهن المتقدم في الكهنة ، الباسط بطرشيله في
كرسي الاعتراف على جماجم الارض وجباه السماء

* * *

... وسرنا نحن ، الثلاثة ، يداً بيد في الطريق
الضيق نمر بالناس وكأننا عائدون من آخر الارض ...
من رحلة ، بعيدة ، نائية ، لا تنتهي فيها الارض
وحركت المفتاح الصغير في مصراع البيت ...
... كان ابننا « منال » ــ الشهران ــ ، ما زال نائماً.
لم يزح خده الاحمر عن المخدة الطرية الزهرية

نائم وكأنه الخبز ، والخمر ، القربان ، في كأس التوسل
ـنَفَسُه ـنَفَسُ البخور المعتق، وهمسه همس الضوء المبكر
... وبكى فنهضنا اليه وحملناه كما يحمل الاخـوة
الحصادون باقات الزنبق واغصان الورد وحزمات السنابل
وحملت اخته اليه ، قطعة القربان الكبيرة ، التي دسَّها
لها ، القندلفت ، عند المذبح في جيب ثوبها الوردي .
تريد ان تطعم ، أخاها الشهرين ، من قربان الهيكل .
تريد أن يقبل صليب الخشب المعلق فوق السرير
كما قبلت امها ، وقبل أبوها ، صليب الكاهن المعلق
بسلسلة الفضة ، فوق البطرشيل ، عند كرسي الاعتراف.
وفتح « منال » شفتيه وأصابعه وضحكت لنا غمازة عينه،
سلمت لنا شفته وسلمت عينه وسلم طيبه الطيب .
لا يـرفُ له خـاطر ، ولا تقلـق له يـد
يتنهـد من شد اللفائف لا من شـدة الالـم
ورميت بنفسي كلها على سريره كما رميت بنفسي
كلها على فتحتي الكتاب العتيق بين يـدي أمـه .
ونزلنا في واحة من الخمر والخبز والغفران المبتهل .
هو الخبز في افـواه النفس من مآدب الحيـاة
هو الخمـر من كروم الخصب في جبـال التأمل
هو القربان في صينية البركة من استحالة التأله

* * * *

هنا ... آخر الارض ، وعند السرير ، اخر السمـاء
... نزرع في مساكب الحيـاة هـذا الـورد ...
... وننشر في مزامير الصلاة هـذا البخور ...

قم بنا الى المائدة ... وجلسنا نأكل القربان
ونشرب من زجاجة الخمر الجديدة ونسقي معنا ابنتنا .
صارت ابنتنا ، مثلنا ، تشرب الخمر بالطاسة الكبيرة ...
امـا « منال » فلا ينـام الا اذا سقينـاه مـع
الحليب قليلا من مـاء الزهـر وقليلا من النبيـذ

وقالت امه : وسيكبر هذا الصبي ، وسنعمده في الجرن
الابيض ، في كنيسة النور ، وسنؤمن عنه ، وسنبصق
حول الجرن، عند المعمودية، في وجه الشيطان. وسنشتري له
سلسلة ذهبية وصليبا اكبر من صليب الكاهن المتقدم .
وأدرت كأسي الملآى على جنبات فمي واحتسيت مصة
متمهلة ... ثم أدرتهـا على فم ابنتي ثم رميتُهـا
فجأة تتحطم على الارض . ثم رحت وحدي أقهقـه .
وتطلعتْ اليَّ من شفوف القدر بكل هدوء وقالت :
أقذف به قذفا من النافـذة في منحـدر الابـد .
أطرده طردا من زوايـا التضرع في مخابىء اليقين .
ويل للذين لا يطردون اشباح العقول من الضمائر .
ويل للذين لا يقذفون من الشرفـات العاليـة
في مشارف الحياة وحوش الشـك العنيف الجامح .
خذ وأشرب ... لم تزل كما سكبتها ، الطافحة ، الملأى.
ومددت شفتي الى يديها اقبل فيهمـا حرارة الايمـان .
ثم تناولت كأسها ورحت اشرب ، واسقي ابنتنا ، وامها ،
وأخاها ، وخشب المائدة ، وجدران البيت ، واصابع
الزنبق الابيض
المتكيء في الزاوية ، مع الامل ، على الاعنـاق الخضر

... وانتشى بنا البيت حتى السقف ، والدرج المتصاعد ،
ورحنا نشرب قليلا من الضوء ، وقليـلا من المـاء
وقليلا من الدم ، وقليلا قليلا من الخمـر الحمـراء
ومدَّت الشمس رأسهـا الطويل على مباسط المائـدة
وانطفأت القناديل ، وجف الزيت ، وبردت الشموع العسل،
وقمنا نحمل على الجباه ، في مواسم المحبة

... الصليب

... والبطرشيل

... وقرابـين الزمن

الياس خليل زخريـا

عظام

لقيته في بعض دروب الجبل وكاني لقيته في احدى الاساطير ، شيخ أسبل لحيته على صدر ينتفض وعقد ازاره على عظام تصطك ، لا أدري لماذا عرفني الى ثكله مزدهيا به فقال : أنا الذي لمت عظامي بيدي ، حين قتل السيل ولدي ،

●

ألغيمة الرعناء زودها وأطلقها الخضم
حشدا من الهول المبلق فهو ملتمع أحم
لطمت جبين الشمس فانقلبت عليها تستحم
ولوت على الجبل الاصم فطأطأ الجبل الاصم
سيل من الغضب المزمجر يشرئب ويدلهم
ركعت لديه الدوحة العلياء والصخر الاشم

✶

ألغيمة الرعناء بنت اليم لقنها هديره
فمضت تهز لواءه في الافق نافخة نفيره
صدمت جناح الطود وانفجرت مشردة نسوره
وتهدرت في السفح جارفة الى الوادي صخوره
أيخال هذا الطود أن البحر يعجز أن يزوره
هو مالك الآفاق ينصب حيث شاء بها سريره

✶

نادى الخضم جيوشه فطوت عن الهضب الغمائم
وتراجعت للشط حاملة لسيدها الغنائم
فاذا السفوح الخضر ثاكلة تضج بها المآتم
نحرت جوانبها السيول وهدمت منها المعالم
متوجس فيها الربيع يلم ذيل الذعر واجم
يمشي على جيف الجذوع وفوق أشلاء البراعم

✶

وبدا الصباح المكفهر لها بجفن مقشعر
يرنو الى الوادي الكئيب كمدنف يرنو لقبر
فاذا بشيخ دالف في السفح من صخر لصخر
يجري وراء السيل وهو السيل من عينيه يجري
والثكل يعصف في جوانحه فيهصره ويذري
بين الصخور يلم ، لا أدري... لعلك أنت تدري !

✶

قطع تمس يديه باردة فيلثمها ضراما
ويضمها رمما فتنفذ في جوانحه سهاما
هو من كلام الارض ينزعها فتثخنه كلاما
غسلت جريمتها السيول وبعثرت يدها الرماما

رأفت بثكل الشيخ هازئة فبيضت العظاما
دفنت أمانيه وشكّت في مدافنها الرخاما

✶

بسط الوشاح وضمها قطعا تقعقع في وشاحه
كشريد حرب عاد يحمل ما تكسر من سلاحه
تعبا ينوء بحمله وبما تحمَّل من جراحه
أو ما رأيت النسر أمعنت العواصف في اكتساحه
فمشى يجر جناحه عبئا على واهي كفاحه
وارحمتا للنسر يحمل ما تحطم من جناحه

★

واها لقلب الشيخ صفق خلف أضلعه وناما
بالامس حطمه الاسى ولناره أستبقى الحطاما
ما قام ناب الدهر عن جرح ولا عف احتشاما
الا وعاد الى فريسته فمزقها انتقاما
كأرومة الفحام يرفعها وقد شبعت ضراما
ليعيدها للنار ناضجة فتلتهم التهاما

✶

شهقت فويهات الصخور له تردّ صدى الزفير
فوقفت أقرأ قصة في السفح دامعة السطور
هي زفرة الامل القتيل وزأرة اليأس المغير
كتبت بأظفار السيول وحد ناجذها الطرير
هي في جراح الصخر باقية على محو الدهور
أو ليست المأساة تكتبها الغزاة على الصخور

✶

كم صخرة شمخت وموج الدهر يضرب جانبيها
تروي حكاية مطمح حطمت عزيمته عليها
أعيت وقد رام الصعود بأن تمد له يديها
فتحت له في صدرها قبرا وضمّته اليها
هذي حكايات الصخور الشائخات ، فقف لديها
وأصخ لها في الموج يرويها الهدير لسامعيها

فارس سعد

الطفل والاب

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

●

اعرض حالتين هامتين تثبتان لنا اهمية العلاقة النفسية بين الطفل والاب . ان حب الامومة بقوته الجارفة معروف للجميع ولكننا لا نعرف ان هذا العطف يحاول في بعض الاحيان أن يحرم الطفل من حبه لوالده . وكثيرا ما تفسد الام بغيرتها وشدة علاقتها بابنها تربية الطفل وتقضي على شخصيته . واهدف من هذا الى تحذير الامهات من الانانية في حب الطفل لان هذه الانانية — التي تحاول الانفراد بالحب — قد تكون السبب في اضرار نفسيةخطيرة .

ولد لزوجين بنتان اكبرهما وصلت الى السنة الثالثة عندما اشتد خلاف بينهما ، وتفاقم الخلاف وادى الى فراق وطلاق واختفى الاب عن أعين الطفلة ، وكانت هذه تلح في السؤال عن ابيها ، ولكن دون جدوى ، لان الام صارت تخفي اخباره عن ابنتها بل فانها اتجهت الى الحط من قيمته في عيني ابنتها ولا تذكره الا بالسوء ، وتحذرها دائما من خطره ان حاول اخذها . واشرفت الام على تربيتها ومكنتها من ثقافة راقية ، ووصلت الفتاة الى آخر الاجواء في تعليم جامعي متين . ولكن المكانة العلمية والمركز الاجتماعي والعطف الغزير من الام كل ذلك لم يشعرها بالسعادة التي يتحدث عنها الناس . بل فاننا نراها تقضي وقتا طويلا سابحة في عالم الخيال كانها تبحث عن فكرة ضائعة او تسأل نفسها عن سر غامض تريد توضيحه في ذهنها . وانقلبت هذه الجولة الذهنية الى ضيق وقلق وشدة حساسية ، واضطربت صحتها الجسيمة اضطرابا محسوسا واصبحت الامعاء لا تستقر على حال ، وكان اقل اهمال يعرضها الى سوء هضم يؤدي بها الى أرق وتعب .

ولم يتفطن احد الى ان اصل هذا الاضطراب نفسي وانه يرجع الى نقص خطير في شعورها العاطفي . واتضح الموقف منذ اليوم الذي بدأت تشعر فيه بميل الى مخاطبة اشخاص في الشارع دون اي سابق معرفة ، وصرحت انها تشعر في داخل نفسها بميل يشبه ميل الطفل نحو أبيه . وكثيرا ما كانت تطرد من فكرها صورة الاب التي كانت تفرض نفسها فرضا على اشخاص عديدين لا تعرفهم . وبدأت تسمع في داخل نفسها جملا واضحة تكرر قائلة في سر « لعله أبي ، ليته يكون أبي » .

وكانت هذه المواقف الشاذة كلها تثير في نفسها الخوف على عقلها ، وكثر تساؤلها عن سر هذه الصور الملحة الى ان جاءت الى التحليل النفسي معلنة خوفها وعجزها عن مقاومة هذا الخوف . وثبت في اول خطوة من خطوات البحث النفسي أن هذه الفتاة التي بلغت سن الرابعة والعشرين لم تشعر بأي ميل عاطفي نحو الرجل ما عدا تعلق زائد عن الحد وفي صورة حب مكبوت جارف داخل نفسها نحو احد مدرسيها عندما كانت في سن السادسة عشرة من عمرها ، واتضح لها من بعد انها لم تكن تحبه حبا جنسيا مما يدل على ان حبها كان تعويضا للنقص الاساسي فيما يرجع الى فقد الاب والحرمان من عطفه .

والمهم ان هذا الشعور بالحرمان كان مصحوبا بحزن شديد ظل مكبوتا طيلة هذه الاعوام من حياتها ، وجاء التحليل النفسي طالقا لعنان الانفعال المكبوت وكان التعبير عن هذا الحرمان شديدا وبدأت الفتاة تتجه في ذهنها الى محاكمة والدتها ، واصبحت تشعر بانها المسئولة عن كل ما عرضها للاضطراب النفسي والجسمي والاجتماعي . وكان هذا الاتجاه طبيعيا ، ونرى معها ان الام كانت مسئولة وانها عرضت ابنتها لعذاب كبير لا لشيء الا لترضي كبرياءها وانانيتها .

وهذه الحالة تصور الخطر الذي يهدد الطفل عندما تكون علاقته بأبيه ضعيفة ، اذ الاب المثل الاعلى ويجب على كل أم ان تسعى لتحسن العلاقة بين طفلها وزوجها خصوصا وان الطبيعة منحت المراة حساسية تمكنها من مسايرة الطفل في ادق تغيراته وتقلباته كما منحتها عقلا يمكنها به ان تفهم زوجها ، فهي الصلة الطبيعية بين الطفل والاب ، وعليها ان تربط لا ان تفصل .

ولعل بعض القارئات يجدن في هذا التحذير مبالغة ، ولذلك يحسن ان اذكر مثلا آخر . طفل مات ابوه قبل ولادته وتربى يتيما ، واغدقت عليه الام كل عنايتها وحاولت أن تعوضه عطف الاب ورات الا تحدثه عن ابيه والا تذكر له وفاته وكانت دائما تمتنع عن الاجابة على أسئلته عن ابيه . وعندما وصل الطفل الى سن العاشرة واختلط مدة طويلة بالزملاء في المدرسة وعرف ان لكل منهم ابا يحبه ويحافظ عليه بدأت الحيرة تدب فينفسه ، وأصبح يسلك سلوكا عدائيا نحو امه ونحو غير أمه ، وصار سلوكه شاذا في المدرسة وغيرها ، يؤذي زملاءه دون سبب كأنه مدفوع بدافع الغيرة الشديدة . وكلما زادت الام في محاولات الارضاء زاد في الثورة شدة وعنفا . وبعدما كان الطفل متتبعا لدروسه مسايرا لزملائه أصبح عاجزا عن التركيز والتحصيل .

ويختلف هذا المثل عن الاول في كون الام غير حانقة على زوجها وموقفها من الابن موقف المدافع . ولكن اخفاءها لموت الاب لم يكن متفقا مع الوضع الطبيعي ، وغاب عن الام اتصال ابنها باطفال لهم آباء يسمع عنهم ابنها وقد يراهم يداعبون ابناءهم ويعطفون عليهم .

والخلاصة ان علاقة الطفل بابيه علاقة ضرورية يجب ان تكون طبيعية ولا يجوز للام ان تتعرض لها بسوء ، كما ان التصرف في الحالات الشاذة التي تتطلب درسا لا تكون الا باذن المختص في الشئون النفسية . وعلى كل لا يجوز لنا ابدا ان نتجه بالطفل اتجاها مضادا للطبيعة فلا بد من ان يعرف الطفل أباه ليحبه ان كان حيا او ليبكه ان كان ميتا .

القاهرة — **ابومدين الشافعي**

دهشة

كالصخر جثا على آرضنا
كالجبل رسا في ظلنا
كل شيء راكد ، يمور
حتى النسيم غاب عنا
كان في آرضنا
يداعب العشب والزهور
حتى القبس حجب عنا
كان على أرضنا
يناغي اللون والازل
انتظرنا •• بعد دهور
كان أقسى من الحجر
وقفنا ندعو على القدر
نثور في وجه الشجر
ينحني منا كل عضل
يموت فينا كل قبس
ماذا كان ؟
في حلم دام

في يقظة كان العدم
في أحرف كانت ضياء
هزهزتها بالقلم
في يقظة كان العدم
رحت آدق الصدر بالتراب
أحفر حفرة التباب
أكسّر الجفون
أنادي الضباب
أدعو العمى •••
رحت أدب على الارض
أكب على عصا
حتى العصا انهارت
زلّت بي القدم
والفراغ فتح الذراع
يحويني
يحوي معي الزمن

ثريا ملحس

الشعر والدراما

بقلم ت.س. اليوت

ترجمة وتلخيص محمود السمره

✳

عند مراجعتي لانتاجي(١) الذي كتبته خلال العشرين سنة الماضية ، وجدت انني قد عدت ثانية الى الدراما اما ناقدا لاعمال الكتاب او باحثا في ما يمكن ان ندخله على الدراما من تحسين. وقد يكون الناس قد ملوا الاستماع لي لكثرة ما قراوا لي في هذا الموضوع . حقا ، لقد كتبت كثيرا في هذا الموضوع ، ولكن آرائي في كل مرة كان فيها الجديد نتيجة للخبرة التي اكتسبتها من ممارستي لكتابة الدراما . وبما ان الزمن قد زادني خبرة بمشاكل الدرما الشعرية ، وبالامور التي يجب ان تحققها اذا أرادت ان تثبت وجودها ، لهذا فانني احب هنا ان اوضح الاسباب التي تدعوني الى كتابة الدراما الشعرية ، واحب اكثر من هذا ان اعرض الاسباب التي تجعلني أحب ان ارى هذا الفن يستعيد مكانته السابقة .

ولأبدأ بهذا الفرض وهو انه اذا كان الشعر ليس الا زخرفا وزينة ، وباعثا للذة في نفوس متذوقي الادب لانهم يسمعون شعرا بالاضافة الى مشاهدتهم للتمثيلية ، فانا اعترف بانه لا قيمة له في الدراما ؛ اذ يجب على الشعر ان يثبت ان له قيمة درامية ، لا ان يكون مجرد شعر جميل وضع في قالب درامي . وسواء استعملنا النثر ام الشعر في المسرحية ، فانهما وسيلتان لغاية ؛ وليس الفرق بينهما — في بعض الحالات — كبيرا كما قد نظن : فالنثر الذي كتبت به تلك المسرحيات التي لا تزال حية تقرأ وتمثل على المسارح ، بعيد في مفرداته وتراكيبه وجرسه عن كلامنا العادي بعد الشعر عنه تماما . ولو نظرنا في مسرحيات أعظم كاتب للدراما النثرية في العصر الحديث وهو ، كما اعتقد ، (برنارد شو) ، للمسنا في الكلام الذي تتفوه به شخصيات مسرحياته ذاك الاسلوب النثري المتميز الذي لا يتحدث به الا ارفع الناس ثقافة وذلاقة لسان . وكلنا قد سمعنا بالشخصية التي ابتكرها (موليير) ، والتي تندهش عندما تعرف ان ما كانت تتحدث به هو النثر . والحقيقة ان (جوردين) هذا كان هو المصيب عندما قال انه لم يكن يتكلم نثرا بل كان يقول كلاما لا غير . واعني بهذا ان هناك ثلاث وسائل للتعبير هي : النثر ، والشعر ، وكلامنا العادي الذي هو دون النثر والشعر في مستواه . فاذا نظرنا الى المشكلة من هذه الناحية ، وجدنا ان النثر على المسرح متكلف وصناعي كالشعر ؛ ونستطيع ان نعكس الامر فنقول ان الشعر يمكن ان يكون طبيعيا كالنثر .

وانه لمن سوء الحظ ان نجد كثيرين من النظارة الذين يذهبون لمشاهدة المسرحية الشعرية يعتقدون مقدما انهم سيشاهدون شيئا مغايرا للغة التي يتحدثون بها ، كما انه من سوء الحظ ايضا ان نجد ان الشعر هو الذي يجذب البعض الاخر الى هذه المسرحيات ، ذلك لان هذا معناه ان هؤلاء يفصلون بين احداث المسرحية ولغتها فيجعلون منهما شيئين منفصلين عن بعضهما ، بينما يجب ان يكون تاثير الاسلوب في الحوار الدرامي ، سواء في الشعر او النثر ، لاشعوريا . وينتج عن هذا ان الجمع بين الشعر والنثر في المسرحية الواحدة يفضل تجنبه ، ذلك لان مثل هذا الانتقال يجعل المشاهد يتنبه الى ان ما يراه ليس الا شيئا مصطنعا . ولعل هذا الجمع يمكن تبريره عندما يكون الكاتب راغبا في احداث هذا التنبه كأن يريد ان ينقل النظارة من واقع الى آخر مغاير له . واظن ان هذا الجمع كان امرا مالوفا للنظارة في عهد اليصابات لان آذانهم لم تكن ترى فرقا كبيرا بين الشعر والنثر ، ولانهم كانوا يرون ان الافضل ان تتحدث شخصيات الطبقة العامة في المسرحية بلغة بسيطة ساذجة ، وان تتغنى شخصيات الطبقة الرفيعة بالشعر الرفيع . واننا لنجد في روايات شكسبير نثرا كتبه الشاعر ليحدث به التأثير المطلوب عند مقارنته بالشعر ، ومهما قدم العهد على مثل هذه الروايات فانها لا تفقد شيئا من قيمتها ، ومثال هذا منظر القرع على الباب في مسرحية « مكبث » وهو مثال يخطر على بال كل واحد عند بحث هذه النقطة .

وعلى كل حال فانني اعتقد ان النثر يجب الا يستعمل الا نادرا ، وان علينا ان نهدف الى نوع من الشعر يستطيع ان يعبر تمام التعبير عن كل شيء نود ان نقوله ، فاذا وجدنا موقفا لا يستطيع الشعر التعبير عنه ، فمعنى هذا ان الشعر الذي نستعمله غير مرن ولا يفي بالغرض . واذا وجدنا مناظر في المسرحية لا نستطيع ان نعبر عن معانيها بالشعر ، فيجب علينا اما ان نغير في الشعر الذي نستعمله ، او ان نتجنب ادخال مثل هذه المناظر ، لان علينا ان نعود النظارة على الاستماع للشعر الى الدرجة التي يصبحون فيها لا يحسون احساسا واعيا بان ما يسمعونه شعرا ، ولا شك عندي ان اقحام الحوار النثري سيوجه انتباه النظارة الى لغة التعبير ويصرفهم عن الحركة في المسرحية . وهناك سبب آخر يدعونا الى تجنب الجمع بين الشعر والنثر وهو ان موسيقى الشعر يجب ان تؤثر في السامعين دون ان يشعروا بان ما يسمعونه ليس الا شعرا يلقى .

ولعل تحليلا بسيطا لفصل واحد من شكسبير قد يوضح هذه النقطة ، ولنأخذ مثلا الفصل الاول من «هملت»

---

١) خلاصة للمحاضرة التي القاها ت.س. اليوت في جامعة هارفرد في ٢١ نوفمبر ١٩٥٠

الذي بلغ من الروعة والابداع بحيث اصبح شائعا معروفا عند الجميع . ان الذي لا نلاحظه ونحن نشاهده يمثل على المسرح ، هو التغيرات الكبيرة في الاسلوب الشعري فلا نجد كلمة في غير مكانها ، ولا بيتا من الشعر لا يؤدي وظيفته الدرامية على أحسن وجه . ولقد كتب شكسبير كثيرا من المسرحيات قبل ان استطاع الوصول الى الدرجة التي بها تمكن من كتابة مثل هذه الابيات . فلو كنت تشاهد « هملت » للمرة الاولى دون ان تكون عارفا شيئا عن المسرحية ، فلا اظن انه سيخطر ببالك ان تسأل ان كان المثلون يتكلمون شعرا او نثرا . واحب هنا ان انبه الى انني لا أقول ان الانسان يجب الا يشعر بلذة الشعر في المسرحية ، بل اقول ان للمشاهد ان يلتذ بالشعر الجيد على شرط ان يكون هذا الشعر قد حقق الغرض الدرامي منه. ولكننا ـ بداهة ـ عندما نشاهد مسرحية عدة مرات ونقرأها ، فاننا نبدأ عندها في تحليل الوسائل التي استطاع بها المؤلف ان يؤثر فينا . والدراسة الواعية لمنظر واحد من من مناظر « هملت » تستطيع ان ترينا بجلاء ان الشعر ليس مجرد زخرف وزينة ، ولكنه شيء اساسي في الدراما ، ولا نستطيع ان ننكر ما له من تأثير على نفوسنا ، وان كنا لا نحس بهذا التأثير احساسا واعيا ، ويتساوى بالتأثر به اولئك الذين يحبون الشعر الجيد ، واولئك الذين يذهبون الى المسرح لمشاهدة تمثيلية جيدة .

***

والان ، سأجترىء فأحلل انتاجي تحليلا قائما على التجربة ، فأشرح الاهداف التي كنت ارمي الى تحقيقها عند كتابتي لمسرحية من المسرحيات ، وابين مواطن الفشل والنجاح . وانا انما افعل هذا لاعتقادي ان الرحالة المكتشف او العالم الباحث قد يستطيع كتابة شيء عما شاهد ورأى مما قد يفيد من يأتون بعده ، فيكفيهم مؤونة البحث بأنفسهم عما قد توصل اليه بنفسه بعد كد وجهد .

ان اول شيء ذا قيمة اكتشفته هو ان على الشاعر الذي يكتب للمسرح ان يضع نصب عينيه انه يكتب لنظارة لا يعرفون شيئا عن انتاجه السابق وما نال من نجاح في الميادين الادبية الاخرى . وعندما يضع هذا نصب عينيه سيجد عندها ان كثيرا من الاشياء التي يود كتابتها ويعرف انه يحسنها ، لا محل لها ؛ وان عليه ان يقيس كل بيت بمقياس جديد هو مطابقته للغرض المطلوب منه في الدراما.

وعندما كتبت Murder In The Cathedral كنت لا ازال مبتدئا في كتابة الدراما ، ولهذا اخترت موضوعا اصطلح على انه مناسب للدراما الشعرية ، فقد كانت القصيدة السائدة ان المسرحيات الشعرية يجب ان تختار موضوعاتها اما من الميتولوجيا ، او ان تصور فترة من عصر تاريخي قديم بحيث يسوغ للشخصيات المسرحية ان تتكلم شعرا ، ويستعين المخرج على تحقيق هذا بالباس الممثلين ملابس تصور الفترة المقصودة . وعند النظر في مسرحيتي وجدت انني لم احل بها اي مشكلة من مشاكل الدراما الشعرية .

وعندما فكرت في كتابة مسرحيتي الثانية وضعت نصب عيني ان اتجنب السير في الطريق التي سار فيها شكسبير ، لانني اعتقد ان سبب فشل شعراء القرن التاسع عشر في مسرحياتهم لا يعود الى الخطأ في الفن المسرحي ، بل الى لغتهم الدرامية ، وبسبب هذا انهم قيدوا انفسهم بالكتابة بالشعر المرسل ، هذا الشعر الذي فقد مرونته فأصبح غير قادر على التعبير عن لغة الحديث . لهذا فان ما كنت اهدف اليه هو ان اكتب شعرا بجرس لغة الحديث اليومي . وكان علي هنا ان اواجه مشكلتين : اولاهما مشكلة الاسلوب ، وثانيهما مشكلة الوزن الشعري (وهما في الحقيقة مشكلة واحدة) ، وعلى الاساس الذي احل به هذه المشكلة ابني مسرحياتي التي سأكتبها فيما بعد .

واخذت احلل سبب لجوئي كثيرا الى ادخال الجوقة في روايتي السابقة ، فوجدت ان الذي دفعني الى هذا سببان ، يبررهما ظرف الرواية الخاص : اولهما ان الحركة المسرحية كانت محدودة جدا بسبب قلة الحقائق التاريخية، فخلاصة الموضوع ان رجلا يعود الى بيته متوقعا ان يقتل فيقتل . ولم أشأ ان أزيد في عدد الممثلين ، فأعبث بالحقائق القليلة التي وضعها التاريخ بين يدي . ولهذا فان ادخال جوقة من النساء الفزعات النادبات ساعدني مساعدة فعالة في تصوير الجو المطلوب . واما السبب الثاني الذي اغراني على ادخال الجوقة فهو ان كتابة الشعر على لسان الجوقة اسهل على الشاعر الذي يكتب للمسرح لاول مرة من كتابته في حوار درامي ؛ وكنت اشعر انني احسن كتابة شعر الجوقة. كما ان صراخ النسوة يستطيع ان يخفي ما في الرواية من ضعف درامي : فاستخدام الجوقة ابرز الفكرة التي اردتها وأخفى ما يمكن ان يكون في الرواية من عيوب .

ثم أردت ان اجد فيما اذا كان باستطاعتي ان استغني عن النثر كليا ، ففي مسرحيتي الاولى مقطوعتان نثريتان لم يكن بالامكان كتابتهما شعرا فالقاء عظة دينية شعرا يعتبر امرا شاذا وغريبا حتى لاكثر الناس ترددا على الكنيسة ، ولا يمكن ان يستجيب احد لعظة دينية تلقى شعرا مهما بلغ من روعتها . وفي الموقف الثاني استعملت النثر لان كلام الفرسان الذين يعرفون بانهم انما يخاطبون نظارة يعيشون بعد موتهم بثمانمائة سنة ، يستحسن فيه استعمال النثر لغرض خاص هو التأثير في السامعين وتوجيه انتباههم الى هذه الحقيقة . ولكن هذه حيلة ، وهي ان صلحت لهذه الرواية لا تصلح لغيرها ، ولا تصح ان تكون قاعدة .

لا اريد هنا ان تفهموا عني انني أدعو الى ان ننبذ من الدراما الشعرية هذه الامور الثلاثة وهي : الموضوعات التاريخية والميتولوجية ، والجوقة ، والشعر المرسل التقليدي . انني هنا لا أدعو الى شيء من هذا ، بل اعرض عليكم الطريق التي سار عليها كاتب معين ، وهذا الكاتب هو انا نفسي . ولكني أقول انه اذا كانت الدراما الشعرية تريد ان تسترد مكانتها السابقة ، فيجب عليها ـ في رايي ـ ان تدخل في صراع سافر مع الدراما النثرية . وواجبنا في هذه الحال ان ننزل الشعر الى الحياة التي يعيش فيها الناس ، والتي يعودون اليها بعد مغادرتهم المسرح ، لا ان ننقلهم الى عالم خيالي لا صلة له بواقعهم ، لغته الشعر الذي يجدون فيه عبئا ثقيلا وشيئا منفرا . وان تحقيق هذا ممكن بعد جيل من كتاب الدراما الشعرية استفاد كل واحد منهم من خبرة وتجربة من سبقه ، بحيث يجد النظارة بعد زمن ان الشعر ليس شيئا مخالفا للغة حديثهم حتى ان الامر ليصل الى درجة ان يصبح بعضهم احيانا :

ان باستطاعتي ان اتكلم شعرا . واذا وصلنا الى هذه الدرجة فاننا لا نكون في مسرحياتنا الشعرية متكلفين ننقل النظارة الى عالم خيالي ، بل على العكس ، سنجد ان حياتنا اليومية الكئيبة الموحشة تستحيل فجأة الى عالم بهيج جميل .

ولهذا صممت في مسرحيتي التالية ان اختار موضوعا من حياتنا، وكانت نتيجة هذا مسرحيتي The Family Paeunion لقد كان همي الاول في هذه المسرحية هو مشكلة الوزن الشعري ، فصرفت الجهد لايجاد وزن جرسه قريب من جرس لغة الحديث اليومي ، وما وصلت اليه في هذا المضمار هو ما حافظت على استعماله في مسرحياتي التالية . وعند تأملي في هذه المسرحية وجدت انني قد نجحت في حل مشكلة النظم ولكن على حساب العقدة وتحليل الشخصيات . وقد شعرت في روايتي هذه انني نجحت الى حد ما في التخلص من الجوقة ، ولكني عند النظر فيها وجدت انني استعملت ابياتا شعرية توقف الحركة التمثيلية وبهذا لم تؤد الغرض الدرامي ، بينما نرى شكسبير في المسرحيات التي كتبها في سني نضجه يستعمل ما يمكن ان نسميه البيت الشعري او المقطوعة الشعرية ، ولكن استعماله لا يوقف الحركة في المسرحية بل يبرز بطريقة سحرية الحركة والشخصية . فعندما يلقي (مكبث) ابياته التي طالما استشهد بها فاننا لا نشعر بان شكسبير قد فكر عند كتابتها بأن يكتب أبيات شعر جميلة يلصقها بالرواية كيفما اتفق ، او ان نبوغه الدرامي قد نضب فدارى عجزه بالانصراف الى ملء الفراغ بأبيات من الشعر . ان ابياته رائعة شعرا ، ولكنها في نفس الوقت تؤدي الغرض الدرامي منها خير اداء : فأبيات (مكبث) تكشف عن نفسية متعبة لانسان حملته زوجه على ان يقوم بأعمال تحقق احلامها وطموحها ولا تجد هوى كبيرا في نفسه ، ولهذا فانه عندما سمع بوفاتها خلت حياته من الدافع الذي كان يدفعه الى العمل ؛ ان مثل هذه المواقف لا يستطيع ان يعبر عنها الا الشعر ، الشعر الدرامي فقط ، وهو الشعر الذي لا يعطل الحركة في المسرحية ، بل يزيد في ابراز المواقف الدرامية .



وبالاضافة الى النقص السابق اكتشفت فيها ناحيتي ضعف تراءتا لي ابعد اثرا واشد خطرا : اما الاولى فهي انني اخذت زمنا طويلا ـ والزمن محدود للكاتب المسرحي ـ في عرض ما يمكن ان يسمى مقدمة الموضوع ، ولم أترك لنفسي الزمن الكافي لكي أطور الموضوع في حركة مسرحية، فكانت النتيجة ان اجدت كتابة الفصل الاول وان كان طويلا . واما ناحية الضعف الثانية فهي ان الرواية تختم خاتمة مقتضبة سريعة لم يكن النظارة يتوقعونها .

اما اكبر خطأ في المسرحية في الواقع فهو الفشل في بعث الانسجام بين القصة الاغريقية والحياة العصرية .وكان علي اما ان أتقيد باسخيلوس او ان اتحرر من القصة القديمة وخاصة فيما يتعلق بالشخصيات الموهومة ، كظهور الاهات الانتقام المشؤومة عند الاغريق على المسرح . وقد وجدت بعد التجربة ان علي ان احذف مثل هذه المناظر في المستقبل والا اظهرها على المسرح ، واذا ادخلتها فيجب ان تكون مرئية لبعض الممثلين فقط لا للنظارة .

بعد هذه المرحلة وجدت انني قد توصلت بالتجربة الى اتقان كتابة الفصل الاول في المسرحية ، وقطعت شوطا بعيدا في ابتكار وزن شعري ولغة تستطيعان التعبير عما اريد دون اللجوء الى النثر . وقد حاولت في مسرحيتي التالية The Coktail Party ان اتجنب الاخطاء التي وقعت فيها . ولهذا وجهت همي فيها الى تجنب الشعر الذي لا يحقق الغرض الدرامي ، فنجحت في هذا الى حد بعيد بحيث ان المرء ليتساءل : هل في المسرحية شعر حقا ؟ وقد حاولت ان اذكر نفسي دائما بانه يجب ان يحدث بين وقت وآخر خادثة ما في المسرحية حتى لا يشرد ذهن النظارة ويكونوا دوما متوقعين ان شيئا ما لا بد ان يحدث ، وعندما يحدث هذا يجب ان يكون مغايرا لما كانوا يتوقعونه ، على ألا تخرج المغايرة الى حد الاسراف .

***

واخيرا أقول ان الدافع الذي يدفعني الى تكريس الكثير من وقتي للبحث في نواحي النقص في مسرحياتي سببه اعتقادي باننا اذا اردنا ان يكون عندنا دراما شعرية ناجحة ، فاننا ننتظرها من الشعراء الذين يحاولون كتابة المسرحيات لا من كتاب الدراما النثرية الذين يحولون كتابة المسرحيات الشعرية . اذ من المحتمل ان يبدع الشاعر كتابة المسرحية الشعرية ، ولكن لا ينتظر ابدا ممن نجح ككاتب للمسرحيات النثرية ان يبدع كتابة مسرحية شعرية . والافضل للشاعر ان يبدأ في كتابة المسرحيات الشعرية بعد ان يحرز شهرة ونجاحا في نظم القصائد. وانا بتسجيلي الصعوبات التي جابهتني في كتابة الدراما ، والاخطاء التي وقعت فيها ، ونواحي الضعف التي حاولت التغلب عليها ، انما اهدف في المقام الاول الى افادة هؤلاء الشعراء الذين ننتظر ان تبعث الدراما الشعرية على ايديهم .

الكويت — **محمود السمره**

يوسف وزليخا

•

ليلٌ يكاد به البصير يضل عن جدد الطريقِ
مستغلق كالغيب في الابهام والصمت العميق
مغض ولم يك صمته عن غفلة عرضت وضيق
اغضاؤه لتحفز كالصل أطرق من عقوق
في كل آفق راية لليل دائمة الخفوق
وترى ملاءته تسد مطالع الافق السحيق
كمن القضاء حيالها ليكيد في أفق طليق
وهلِ الظلام سوى لثام الغيب والقدر المحيق

* * *

هجع الانام ولم تنم من حرقة عين المشوق
ظلت تراعي النجم من أسف وتنضح عن عقيق
أنى تنام وجامح الاهواء يعصف عن حريق
قلبان من فتن الهوى شتى النوازع والخفوق
حكيا بطيشهما الفراشة آنست لمع البريق
ثملان من فتن الجمال وليس من فتن الرحيق
فاعذر على الطيش الشباب وان تمادى في العقوق
ليس الشباب وان حرصت عن الضلال بمستفيق

* * *

أومت اليه مشيرة ودعته في همس رقيق
نادته وانسابت كأفعى شطر مكمنها الدقيق
ومضت تحل من الحزام سديد محزمها الوثيق
حسرت غلالتها لتكشف عن سنا قد رشيق
فبدت مفاتن جسمها كالنجم تسطع عن بريق
فكأنها لما بدت عريانة فتن الشروق
ولنهدها من جامح الاهواء غمغمة الغريق
نهد تفتح في الصدور كبرعم الروض الانيق

* * *

ومضت تحث الى الفراش الخطو معربة الشهيق
وبصدرها الاهواء ترعد صاخبات عن بروق
وبعينها حرص الجبان ولوعة الحذر الشفيق
عصفت بها شهواتها نارا تلطخت في العروق
فكأنها محمومة من رعشة الوجد العميق
حيرى ومن فتن الهوى طيش العشيقة والعشيق
ليس الشباب بمرتوٍ من صبوة او من غبوق
مثل الشباب كجامح النيران في الشبه الحقيقي

* * *

وأتى المشوق يدب نحو المهد وهناً كالسروق
هاجت به فتن الجمال هواجس القلب الرقيق
فحبا ليطفىء شوقه من سحر أجفان وريق
والوجد تعصف ناره حمما كنيران الفليق
وهوى على الحصر النحيل يضمه ضم الشفيق
فبدت ليوسف آية كالشمس في ضاحي الشروق
وأبى عليه وفاؤه الكفران في ذمم الصديق
فارتد والحسرات في الاضلاع تنزو عن حروق

دمشق — **عدنان مردم بك**

قصة عراقية

الصديقان

بقلم شاكر خصباك

تساءلت امي وهي تملأ صحنا كبيرا بالرز وتتوجه بقطعة من اللحم : من يأخذ هذا الصحن الى كوخ ام حسين ؟

وكنت انتظر بلهفة فراغها من تقسيم فخذ اللحم على صحون الجيران حتى يأتي دورنا وكانت شهيتي قد بلغت ذروتها ومع ذلك قفزت اليها في الحال قبل ان يسبقني احد اخوتي وهتفت : انا .

فحسين ابن ام حسين اعز اصدقائي واهداء مثل ذلك الصحن اليهم يملؤني فخرا وكانوا يسكنون في كوخ صغير في البستان المهجور في نهاية الزقاق ولم اكن اخشى ارتياد ذلك البستان ليلا فليس فيه كلاب .

حملت الصحن بحذر وانطلقت الى كوخ ام حسين كانت الستارة الزرقاء الحائلة اللون مسدلة على باب الكوخ ونور « النفطية » الخافت ينبعث من ورائها . وصحت باعلى صوتي : حسين .

فتساءلت ام حسين من داخل الكوخ من يريده ؟

فقلت انا عدنان ، خالة

فازيحت الستارة وظهرت ام حسين بجسدها الضخم ووجهها الغليظ الغامق السمرة وتناولت مني صحن الرز وقالت: الله يزيد النعمة .

مددت راسي داخل الكوخ فرايت حسين منطرحا على بطنه وقد توسد ذراعيه وكان ابو حسين يتربع على الارض قرب الباب ، لكنه هب واقفا حينا راى صحن الرز واخذ ينظر الى ام حسين متحفزا واستدرت لاعود فقالت ام حسين قف قليلا لافرغ لك الصحن .

فتوقفت عن المسير وقد فتر حماسي . كانت صورة صحني المكلل بقطعة اللحم قد بدات تلح على ذهني . واذ كانت ام حسين تفتش عن اناء هجم ابو حسين على صحن الرز واخطف قطعة اللحم ودسها في رغيف وانطلق يلتهمه ككلب جائع . وكدت اصرخ حانقا ، فقد بدا لي انه سياتي على الرغيف في لقمتين وانه لن يبقى من اللحم شيئا لحسين وراح حسين يحدق في وجه ابيه جزعا والدموع تكاد تطفر من عينيه وقالت ام حسين في حنق وهي تمد اليه يدها لا تاكل اللحمة كلها يا جلوب . . خل لحسين قليلامنها .

فابعد ابو حسين يدها بحركة من كوعه وظل منهمكا في التهام الرغيف فتقدمت اليه ام حسين وامسكت بالرغيف في يد ودفعته في صدره باليد الاخرى فافلت الرغيف وتقهقر حتى اصطدم بجدار الكوخ ووقع على الارض . وفي غمضة عين مد يده الى الموقد والتقط منه حجارة قذفها في وجه ام حسين فانبثق الدم من جبهتها وتساقط على ثوبها الاسود وعلى صحن الرز فاطلق ساقيه للريح ومرق بجانبي مخترقا البستان واختفى في عطفة الطريق وارتفع صوت حسين الحاد بالعويل . استولى علي خوف غريب وظللت لحظة جامدا في موضعي وانا ارتعش كسعف النخلة . ثم ركضت الى البيت وانا ابكي بهلع وتحلق ابواي واخوتي حولي يسألونني باهتمام وانطلقت امي تردد بجزع اسم الله عيني . . . الرحمن عيني .

وقلت اخيرا بصوت متقطع : ابو حسين اكل اللحم وفشخ ام حسين وهرب ففتر حماس الجميع وعاد اخوتي الى طعامهم وتساءل ابي متعجبا : وما الداعي الى البكاء ؟

فاضاف فالح هازئا : حسبنا ان السبع لاقاك فيالطريق.

وانسحبت امي الى موضعها بجوار الموقد وقد عاودها الاطمئنان وانهمكت في حك قدر الرز ولبثت جامدا في مكاني انظر الى الجميع في امتعاض وهم مشغولون وكان امرا فظيعا لم يقع . ثم التفت الي هادي وتساءل : لم لا تتعشى ؟ فقلت بتأثر : وكيف اتعشى ؟ انا اريد ان آخذ الى بيت ام حسين صحنا آخر .

فقالت امي اننا قسمنا اللحم كله يا عدنان ولم يبق منه شيء .

فازداد امتعاضي واشتد بي الضيق والكرب ، وقال فالح وهو يمضغ لقمة حشى بها فمه : خذ لهم عشاءك اذا كنت مصرا .

وبدون كلمة واحدة تقدمت الى الصينية ، وحملت صحني ومضيت به الى الباب وعيون الجميع معلقة بي .

وداخلتني رهبة وانا ادنو من باب الكوخ ، وتمثل لي شبح ابو حسين بقامته الطويلة المنحنية ولحيته الكثة المهوشة وراسه الحليق ، ووقفت بجوار الباب صامتا لا اجسر على مناداة حسين ثم قهرت ترددي وصحت : حسين .

ورفعت الستارة الزرقاء وظهرت ام حسين . كان راسها معصوبا بعصابة بيضاء لاحت في جانب منها بقعة حمراء كبيرة وناولتها صحن الرز بصمت فنظرت الي بامتنان وقالت : الله يرسل لاهلك بجاه العباس والحسين .

كان حسين جالسا القرفصاء على الحصيرة وراسه

يكاد يلامس ركبتيه . وكان صحن الرز الملوث بالدم بجواره لم يمسسه احد ولم أر « لابو حسين » أثرا .

رجعت الى المنزل حاملا الصحنين الفارغين . كنت موقنا انني فقدت عشائي اللذيذ وخسرت اللحم ، لكن الندم لم يتطرق الى نفسي . وبدا لي ان الامر سواء أتعشيت لحما ورزا أم رزا وحده ام خبزا مجردا ودهشت حينما وجدت في موضعي المعتاد من الصينية صحنا مليئا بالرز تناثرت فوقه قطع اللحم وتلقاني ابي هاتفا : بارك الله فيك ياعدنان.

ونظر الي اخوتي في حنق وقال فالح غاضبا : انت تتبرع بعشائك ونحن ندفع الضريبة .

* * *

التقيت بحسين صبـــاح اليوم التالي في الزقاق فبادرني قائلا : امي تقول انك احسن اولاد المحلة .

فداخلني الزهو لهذا المديح الصادر من ام ضخمة مخيفة كأمه وسألته وابوك الم يرجع ؟ فقال بحزن : لا

فسألته متعجبا : واين قضى الليل اذن ؟

فاجاب : لا ادري .

واستولت علي رهبة مفاجاة ، وطافت في ذهنـــي قصص اولئك الناس الذين يهيمون في البرية وينامون مع الحيوانات المتوحشة وياكلون من ثمار الاشجار . ونظرت اليه برثاء والدموع تكاد تطفر من عيني . ما افظع ان يكون الانسان بدون اب ! من الذي سيعطيه « اليومية » صباح كل يوم ، « والعيدية » في كل عيد ؟ لكنني سرعان مـــا تذكرت ان ابو حسين لا يعطيه سوى « يومية » قليلة وانه قد يبقى اياما عديدة بلا « يومية » وكثيرا ما تقاسمت معه ما اشتريه من عطاء المحلة من « لب غراش » « وساهون » و« ضروك الجريدي » .

ظل حسين ساهما وانا لا اجسر على مخاطبته . ثم التفت الي وقال بأسى : لن العب بعد الان في الطريق .

فهتفت بعجب وانزعاج : ولم ؟

فاجاب : ساشتغل صانعا وابقى في السوق من الصبح الى المغرب .

وهالني تخيل مثل هذه الحياة . كيف يستطيـــع الانسان ان يجلس في الدكان طيلة النهار من دون لعب !؟ وتعذر علي ان افهم كيف يرضى لنفسه هذا السجن . وتذكرت امه المخيفة ، وحمدت الله على كونها ليست امي. وفكرت مليا ثم سألته : لم لا تعاند امك يا حسين وترفض الذهاب الى السوق ؟

فقال باستغراب : ولم اعاندها ؟ ساقبض « يومية » واتغدى من اكل صاحب الدكان . فقلت : ولماذا لا تتغدى في بيتكم ؟

فقال وهو يتجنبني بنظراته : ليس في بيتنا غـــير الخبز .

وتاملت وجهه الشاحب وهو مطرق براسه يرسم باصبعه على الارض المتربة خطوطا متعرجة . وفهمـــت السبب . . فهمت ما الذي جعله عزوفا عن لعبة «السباق» وكان عجزه فيها في الاونة الاخيرة وتعبه السريع ــ وهو الذي كان اقدرنا واسرعنا جميعا ــ مثار عجبي وحيرتي .

ونظرت اليه لائما وقلت : لماذا لم تخبرني يا حسين ؟ كنت جلبت لك من بيتنا مرقا ورزا كل يوم .

فقال وهو ما يزال يرسم على الارض غير ناظر الي : امي لا ترضى ان يعرف الجيران . ولم استمتع باللعب ذلك اليوم . كانت فكرة غياب حسين عن الزقاق طيلة اليوم تعكر علي صفوي . قد يؤدي عمله الى انقطاع الصلة بيننا. فامه لا تسمح له باللعب في الطريق بعد الغروب ، وابي لا يسمح لي بذلك ايضا الا في مناسبات خاصة ، وفقدان صديق كحسين امر صعب سيجعل ساعات لعبي منغصة ولا شك .

لبثنا جالسين جنبا الى جنب بالقرب من باب دارنـــا والصمت يخيم علينا ولم نتبادل سوى كلمات قليلة .

* * *

كنت موقنا ان ابوي لا يرفضان لي طلبا اذا اصررت عليه . وكان سلاحي الاول في فرض مطالبي هو البكاء . فاذا لم يثمر اضربت عن الطعام . لكنني لم أكن امتنع عن تناول الطعام حقيقة بل كنت انتهز غفلة من الجميع واتسلل الى موضع الخبز واسرق رغيفا ادسه في جيبي واخرج الى الطريق لالتهمه بعيدا عن عيون اخوتي . وكان امتناعي عن تناول الوجبات الاعتيادية كافيا ليفقد امي صوابها ، فتجيب طلبي مهما كان ، وكنت متأكدا منذ اللحظة الاولى ان طلبي الجديد غير سهل التحقيق ، وانه سيلقى معارضة شديدة وخاصة من اخوتي فهم لا يحبون حسين كثيرا ولست ادري لماذا . ربما لان « دشداشته » الوسخة كثيرة الزنـــوق والرقع . وعلى اية حال فقد عزمت على استخدام اسلحتي المعتادة اذا اقتضى الامر . قلت لامي : اريد ان آخذ عشائي كل يوم الى كوخ ام حسين.

فنظرت الي في عجب وتساءلت : ولماذا لا تتعشى هنا ؟!

فقلت : اريد ان اتعشى مع حسين ، فهو يظل بـــلا عشاء . أبو حسين هرب ولم يرجع . وفكرت امي قليلا ثم قالت : سأخبر اباك ، ونرى .

وحان وقت العشاء ، وتحلقنا حول الصينية وابي يتصدر المكان كعادته ، وجلست امي قربنا تملأ لنا الصحون من قدور الطعام بجوارها . ونقلت انظاري بينها وبين ابي ، وانتظرت في لهفة ان يقول احدهما شيئا ، لكنهما لازمـــا الصمت .

وبقيت جالسا على مضض وقد صممت ان يـــكون البكاء الحاد اول سلاح لي . وقدمت الي صحون الطعام واحدا بعد الاخر ، ثم وضعت امامي أخيرا صحنا مليئـــا بالرز وفوقه المرق واللحم . ونظر الي ابي باسما وقال : قم الى صاحبك يا عدنان .

فحملت الصحن مغتبطا ، واسرعت الى البستان وانا اكاد اطير من الفرح . لكن حماسي فتر عندما بلغت الكوخ وتمثلت في ذهني ام حسين بقامتها الضخمة ونظراتها الحادة . وهتفت وانا استوي بجوار الباب : حسين .

ونحيّت الستارة ، وظهرت ام حسين في الحال . ونظرت اليها متهيبا . كان وجهها الاسمر العريض ينبسط في ابتسامة شاملة وكانت عيناها تلتمعان بالحنان . قلت لها بلهجة متعثرة : اريد ان اتعشى مع حسين خالة .

فقالت بصوت رقيق : تفضل عيني محروس .

وجلست انا وحسين في زاوية من الكوخ نتناول عشاءنا بسعادة ، ونتهامس بما مر علينا من حوادث اليوم . وقصّ علي حسين قصصا مشوقة عما شاهده وجرى له في السوق ، وادعى انه ساعد صاحب الدكان في البيع والشراء . وعجبت لذلك وسألته بارتياب : وكيف استطعت ان تبيع وتشتري وانت لا تحسن العد الى اكثر من عشرة ؟!

فقال محتجا : انا اقدر ان اعد الى العشرين .

وانطلق يعد بسرعة من الواحد الى العشرين . لكنه اخطأ فذكر السبعة عشرة قبل الخمسة عشرة ، ولم احب ان ادله على خطئه فافسد عليه سروره ، فلم يكن يحسن العد الى اكثر من عشرة من قبل . وكان يحاول دائما ان يباريني في العد ، لكنه لم يستطع ذلك فقد كنت احسن العد الى الخمسين . وكان اخي فالح قد وعدني ان يعلمني حتى السبعين ثم حتى المائة . وتظاهرت بتصديق ادعائه لئلا يؤدي العناد الى خلاف بيننا كما يحدث احيانا . وقلت مغيرا الموضوع : هل رايت اباك في السوق ؟ فقال بحزن : لا ، اره . وذهبت الى مسجد المحلة لعله نام هناك فلم اجده .

وسكت لحظة ، وقد غام وجهه بالكآبة ، ثم اضاف بأسى : كيف سأبقى بدون اب ؟ !

وعاد هذا السؤال يثير في اعماقي حزنا شديدا ! وتخيلت اباه عائشا في البرية مع الحيوانات الوحشية . وكانت ام حسين منزوية في ركن مقابل من الكوخ وهي سارحت النظرات كئيبة الوجه . وكف حسين عن الاكل ولم ينته نصف الصحن بعد . فكففت انا ايضا مع انني لم اشبع تماما . ثم انصرفت الى البيت تاركا الصحن ، لآخذه في اليوم التالي .

★★★

في كل مساء كنت احمل عشائي الى كوخ ام حسين . وكانت ام حسين تجلس كل ليلة في زاويتها المعهودة وهي ساهمة مشغولة الفكر . وكنا نلعب انا وحسين بعد العشاء وقتا طويلا وهي جامدة في جلستها وكأنها لا تشعر بوجودنا . ولم يعد منظرها الضخم يخيفني ، بل انني بدات احبها واخذت تبدو لي رقيقة حنونة كأمي . اما حسين فلم يعد ولوعا باللعب كعهده القديم ! بل اصبح يفضل الجلوس صامتا . واظن انه كان يجبر نفسه على اللعب احيانا مجاملة لي . واصبح جو الكوخ كله كئيبا مقبضا للنفس .

... وكنا قد فرغنا ذات مساء من عشائنا وبدانا نلعب « جلكة » انا وحسين . وارتعشت ستارة الكوخ فجأة فنظرنا اليها باستغراب . كان سعف النخيل ساكنا ، ولم يكن ثمة اثر للنسيم . ومرت دقائق ثم ارتعشت الستارة ثانية ، وتخايل شبح انسان وراءها . ونهضت ام حسين وتطلعت خارج الكوخ فلم تر احدا . فعادت الى موضعها . وتبادلنا انا وحسين نظرات قلق ، وهمس حسين بصوت نمَّ عن خوفه : كيف تتحرك الستارة من نفسها ! ؟ لا بد ان احدا حركها .

فقلت محاولا الظهور بمظهر اللامبالي : ولكن امك لم تر احدا .

فقال بجزع وهو يرمق الستارة بنظرات وجلة : لعل الجنيُّ حركها ، فلا يمكن ان تراه امي .. هذا البستان مسكون بالجن يا عدنان .

واقلقتني هذه الفكرة واثارت الخوف في قلبي وتذكرت انني رايت مرة وانا ماضي الى الكوخ ليلا سخلة ترعى بمفردها في البستان ، ولعلها كانت جنية وايقنت ان مجيئي الى الكوخ ليلا لم يعد سهلا . وظلت عيوننا مسمرة على الستارة ، والخوف يملأ قلبينا . وقلت بدون وعي وعيناي لا تفارقان الستارة : اخي فالح يقول ان الجن لا وجود لهم ...

ومرة ثالثة ارتعشت ستارة الكوخ ، ثم اطل منها راس انسان ذو لحية كثة وكادت صيحة رعب تفلت من شفتي لكن حسين هتف بفرح : هذا ابي .

فاضاء وجه ام حسين وهمت بالنهوض ، لكنها عادت فعبست وادارت رأسها الى الناحية الاخرى . وكان رأس ابو حسين قد ازداد امتدادا في الكوخ وظهر الجزء الاعلى من جسده . وكانت ابتسامة حائرة تتعلق بشفتيه . والقى فجأة بحمل ذبيح امام ام حسين كان يخبئه وراءه ونظرت ام حسين الى الحمل من زاويتي عينيها ولم تتحرك . ودخل ابو حسين بقامته العجفاء ووقف بجوار الباب وابتسامته الحائرة تتسع الى شفتيه . ثم مد يده في جيب (دشداشته) الداخلي واخرج صرة القاها في حضن ام حسين فرن صوت النقود . وسمرت عينا ام حسين على صرة النقود وقد تجلى السرور على وجهها . لكنها مع ذلك لم تتحرك . وتقدم ابو حسين داخل الكوخ بجبن ثم جلس القرفصاء في الجانب المقابل لها وهو ينقل نظراته المشتاقة بينها وبين حسين . وكان ثمة صمت خائف يسود جو الكوخ تتوتر منه الاعصاب . وخيّل الي انني سانفجر بالبكاء ان استمر هذا الصمت الموحش . وقال ابو حسين اخيرا بلهجة وجلة : انا لقيت شغل يا حسنة .

فالتفت الي حسين وقد شعت عيناه بالسرور وهتف بفرح غامر : سنلعب غدا طول النهار يا عدنان .

بغداد **شاكر خصباك**

من سكستس

الى سنثيا

✳

لازرا باوند

ترجمة

جبرا ابراهيم جبرا

●

بغداد

✳

عندما ، عندما يغلق الموت أجفاننا
طافين ُعراة على « آكيرون »
في ذلك الزورق الوحيد ،
الغالب والمغلوب معا ،
ماريوس ويوغورثا معا ،
شبكة واحدة من ظلال •
وقيصر يتآمر على الهند ،
على دجلة والفرات من الان
فصاعدا أن يجريا بأمره ،
وعلى التبت ان تمتلىء بشرطة روما ،
واهل بارثيا ان يعتادوا تماثيلنا
وينتحلوا ديننا

زورق واحد على فيض « آكيرون » المحجوب
ماريوس وبوغورثا معا •
ولن يكون في جنازتي موكب طويل
يحمل اصنام الاسلاف وشاراتهم ،
ولن تمتلىء بفراغي الابواق ،
ولن أسجى على فراش
كفراش « أتالا » ،
لا ولن توجد حولي السجف المعطرة :
جنازة سوقية صغيرة •
ويكفي ، يكفي او يزيد ،
انني سأحمل في جنازتي كتبا ثلاثة
آخذها هدية لا بأس بها
الى برسيفوني •
ولسوف تمشين وراء الصدر العاري المجرح ،
ولن تسأمي ترديد اسمي او تتعبي فلا
تضعين القبلة الاخيرة على شفتيَّ
حينما يكسر الرخام السوري •

وانقشي على القبر على الاقل :
« هذا الذي هو الان تراب باطل
كان يوما عبدا لشهوة واحدة •
لِمَ يا موت تتوانى في مجيئك ؟ »

ولسوف تندبين أحيانا صديقا فقيدا
لانها عادة مرعبة
هذا الاهتمام بالراحلين

منذ أن ُبقر أدونيس في ايداليا ،
وراحت « الكيثيرية » تعدو باكية
منشورة الغدائر •
عبثا تستدعين الطيف ،
عبثا ، يا سنثيا •
نداء باطل لظل لا يجيب ،
ومن العظام الضئيلة
لا يصدر الا كلام ضئيل •

جوهانس براهمز

ان براهمز هو المسيح الجديد الذي تنتظره الموسيقى بعد بتهوفن [شوبان]

بقلم صميم الشريف

o
o o

من اعظم العبقريات الموسيقية (١) التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الموسيقى جوهانس يوحنا — براهمز . ظهر في اوج المعركة الرومانتيكية، فحد من شذوذها واغراقها وحافظ على القوالب القديمة بعد صراع جبار بينه وبين اساطين الرومانتيكيين فلم يصمد لـه منهـم سوى بروخنر وليزت وبرليوز ، ثم تقلص ظلهم وبقي فاغنر يمثل الرومانتيكيين المتطرفين في أقصى اليسار ، وبراهمز ويمثل الكلاسيكيين الابداعيين في أقصى اليمين . وقد جرت بين هذين العظيمين وانصارهما من النقاد والصحفيين الفنيين مساجلات ومناقشات حامية على صفحات الجرائد ادت الى نتائج باهرة ساعدت في تقدم فن الموسيقى الخصب .

وولد جوهانس براهمز في مدينة هامبورج في المانيا في اليوم السابع من مايو عام ١٨٣٣ ، وعلمه ابوه يعقوب — العازف في دار الاوبرا العزف على البيانو ، وجعله يحتك بالعازفين في الفرقة الموسيقية ، كما اغتنم الطفل الـذي مال الى تعلم هذا الفن الفرصة للاستماع الى حفلات الفرقة جميعا حتى الم مع ترعرعه بدقائق التوزيع الموسيقي وفهم الهارموني قليلا . ولقد كان الفقر والعوز يقفان حائلا دون تعلم الطفل ، الذي ما كاد يتلقى دروسا قليلـة مـن بعض العازفين المجيدين في الفرقة حتى تابع دراسته بما فطر عليه من ذكاء خارق وموهبة فنية طيبة .

وفي عام ١٨٥٣ وكان براهمز — الابن — قد بلـغ العشرين من عمره قام باولى رحلاته الموفقة الى مدينـة ليبزج وفيمار حيث عزف فيهما ونجح نجاحا باهرا واجتمع في مدينة فيمار بالموسيقي البارع ليزت (٢) الـذي زوده ببعض النصائح الخاصة بالعزف ، وساعده في بعض الامور الفنية الاخرى ، وتوقع له ان يكون احد حملة مشعل هذا الفن في المستقبل .

ولم يستقر طويلا في فيمار فانتقـل الى مدينـة دسلدورف حيث كان يقيم فيها الفنان شومان وهناك أذهل دسلدورف بعزفه الرائع ، واستثار حماس كلارا شومان واعجابها ، وهي احدى العازفات المجيدات القليلات فـي العالم وزوجة الموسيقي روبرت شومان .

وكان شومان يعلم من أمر براهمز وحالته المادية الشيء الكثير ، فتعرف عليه ، وارغمه على قبول ضيافته بعد الحاح شديدة وسرعان ما تتلمذ براهمز الشاب والعازف المتين على يد شومان الكبير .

وفي احد الايام عزف براهمز بعضا مـن مؤلفاتـه الخفيفة فأذهلت شومان (٣) وجعلته يكتب مقالا في المجلة الموسيقية التي كان يحرر فيها فمدح براهمز ، وتنبأ لـه بمستقبل باهر يحله محل العظماء ، وكان من نتيجة ذلـك المقال ان استدعي براهمز من قبل بلدية دسلدورف لقيادة فرقة المدينة الموسيقية لقاء اجر محترم ، وهكذا بدأ يصعد سلم الشهرة .

غير ان اقامته في بيت شومان لم يقدر لها أن تستمر طويلا، فقد أحس بانه وقع في غرام زوجة استاذه والمحسن اليه ، وحاول المقاومة طويلا دون جدوى فعزم على الرحيل ولم تستطع محاولات شومان المريض في حمله على البقاء ، فسبب رحيله لاستاذه الموشك على الجنون الاما فوق مابه من آلام وهكذا عاد الى مسقط راسه وبعد ان اعترف لكلارا بحبه الذي لم يعد يستطيع كبته .

وحين بلغ الثلاثين من عمره عام ١٨٦٣ شغل في فيينا منصب مدير القسم الخاص بالغناء في الاكاديمية ، ثم تبوأ بعد مدة وجيزة رئاسة جمعية اصدقاء الفنون .

وارتاحت نفسه الى فينا ، فأحبها ، واستقر فيها ، الى ان مات في اليوم الثالث من ابريل عام ١٨٩٧ بعد ان خلف لنا تراثا عظيما من المؤلفات الموسيقية الرائعة .

ولا نجد في حياة براهمز شيئا بارزا الا حبه العجيب لكلارا شومان ، والمناقشات البزنطية التي اغرقوه فيها حول الكلاسيكية والرومانتيكية . والوحدة التي كان يعشقهـا فلازمها مبتعدا عن كل اصدقائه والناس جميعا حتى وفاته.

عاد براهمز الى مدينة دسلدورف بعد وفاة استاذه شومان عام ١٨٥٦ ؛ آملا ان تجد كلارا الزوجة الوفية في حبه منفذا لبعض احزانها. فمكث بجانبها مدة ثلاث سنوات عرف في نهايتها بانها تفضل ان تبقى امينة على ذكـرى زوجها . ومع هذا فقد تشجع وحدثها ثانية في حبـه وعرض عليها الزواج فلم تقبل ، وكانت معه جد رقيقة ، وهذا من الاسباب التي دفعته ان يخلص لها الحب حتى وفاته .

على ان براهمز وان كان صادقا في حبه لكلارا شومان فان حياته لم تخل من حوادث عاطفية كان لها اثرا بارزا

(١) هذا البحث من كتاب (اساطين الموسيقى العالمية) تحت الطبع .

(٢) كان الموسيقار العالمي (فرانزليزت) من اعظم العازفين عـلى البيانو ، ويقال بانه لم يلحق في البراعة حتى الان ، رغم تقدم وسائل التعلم على العزف وتسهيلها .

(٣) كان لاراء شومان التي ينشرها في المجلة الفنية تأثير كبير ومن اجل آرائه التي كان ينشرها عن براهمز ، اسندت الى هذا الاخير رئاسة الفرقة الموسيقية

رغم كونها عابرة ، ويذهب النقاد الى أن براهمز انتهز هذه الحوادث ليروي نفسه الظامئة الى الحب ما استطاع الى ذلك ، وكانت تجربته العاطفية الاولى بعد كلارا مباشرة فتاة ذات شعر اسود فاحم ووجه ناصع البياض اسمها اجاثا كان ينطلق معها الى الغابة والمراعي فيسمعها من اغانيه الشيء الكثير ، ويترك راسها الجميل يرتاح على صدره وكان يناديها في رسائله اذا غابت عنه طويلا : « يا صاحبة العيون السود والشعر الناعم الفاحم .. أنا في شوق لك . وسأنتظرك اليوم . »

ولم يكن هذا الحب بالذي يروي قلب براهمز الظامىء ابدا الى كلارا فانطلق الى حب آخر ظن انه يستطيع به ان يسد ذلك الفراغ الكبير . كانت فاتنته الجديدة اوتلي هوبر وكان صوتها رائعا ، فعاش معها فترة من الوقت الف في اثنائها اروع اغانيه العاطفية من نوع الليدر وكان يناديها متحببا «ايا ذات الصوت الذهبي ؟ ! »

وانطوى هذا الحب ليحمل في اعطافه مع عبير انغامه وردة يانعة كانت تدرس على يديه البيانو ، وكان اسمها اليزابيت ولم يستطع ان يبوح بحبه لتلك التلميذة الموهوبة وانتظر طويلا قبل ان يهمس في اذنها بعبارات الحب ، وقبل ان يعتصر بين ساعديه نجيته التي سماها «نجية البيانو» . . انه شاعر في حبه وفي الفاظه وموسيقاه ، الا ان دفء الحب الحقيقي بقي حارا في قلبه لامرأة واحدة لم يستطع نسيانها رغم اسرافه الشديد في تاليه من احبهن هذه الامرأة كانت كلارا شومان التي كانت تلهمه انغامه العاطفية الرائعة رغم بعدها عنه .

ولقد ساعدها براهمز في نشر موسيقى زوجها بما كان له من مركز موسيقي مرموق ، كما عادت هي الى التكسب عن طريق عزفها في المدن المختلفة لتستطيع ان تنهض بأود بناتها السبع صبايا .

وحين استطاعت الطمأنينة ان تجد لها طريقا الى قلبه وكان مجده الموسيقي ينتظره في فيينا ودعها ورحل الى هامبورج اولا عام ١٨٥٩ ثم غادرها والدنيا سوداء في عينيه الى فيينا وبقي براهمز في هذه المدينة أعزب لا يجد سلواه الا الموسيقى ولا يلتمس النسيان الا في كؤوس الجعة . حتى سمي (بالاعزب شارب الجعة) .

★★★

اطلق النقاد الموسيقيون لقب (الثلاثي الكبير ب) على اعظم ثلاثة موسيقيين في العالم تبدأ اسماءهم بحرف (ب) واول هؤلاء الموسيقيين باخ وثانيهما بتهوفن وثالثهما براهمز .

وهذه التسمية لم تجىء عفوية ، وليدة الخاطر . انما نتيجة دراسة عميقة لمؤلفاتهم ، فباخ صاحب السلم المعدل ، وبتهوفن الثائر الذي اخضع الاوضاع الفنية والقالب الكلاسيكي لعبقريته وثورته الفنية وجعل القالب الكلاسيكي ينوء بضغط الانغام دون ان يحطمه . أما براهمز فقد عرف كيف يتمرس بفن الصناعتين القائمة على فن (الفوج والكونتربوان) عند باخ ومهارة صياغة الانغام عند بتهوفن .

وبعض الناس من المتعصبين يفضل براهمز على بتهوفن وفي هذا غلو دون شك ، كما ان هناك خطأ شائعا يجعل براهمز في مؤخرة الموسيقيين ، ولقد قرات مؤخرا كتابا بالعربية يقول فيه مؤلفه بالحرف الواحد ما يلي : « ويعتبر هذا الفنان ــ ويقصد به براهمز ــ في مستوى شوبرت وشومان أو دونهما بشيء يسير . »

اما الحقيقة التي لا تقبل الجدل حول هذا الموضوع فهي خلاف ذلك تماما ، ويكفي ان نعرف بان براهمز يقف مع بتهوفن على قدم المساواة وان بعض الحانه كالكونشرتو التي وضعها للكمان تفوق كونشرتو بتهوفن الموضوعة للكمان ويوجد غير ذلك كثير من الاستشهادات ، اما القول بان براهمز دون شوبرت وشومان بشيء يسير ، فهذا لغو لان مؤلفات هؤلاء الثلاثة تثبت بما لا يقبل الجدل بان لا شوبرت ولا شومان بقادران على التطلع اليه .

كتب براهمز كثيرا من اغاني (الليدر) التي تضاهي وتبز اغاني شوبرت في روعتها ، وعددا من الرقصات القومية المعروفة باسم الرقصات الهنجارية ، ويخضع تأليف هذه الرقصات الى اسلوب فني معين ، وظهرت له اول سيمفوني بعد ان تجاوز الاربعين من عمره ، وحين عزفت في انكلترا قال له احد اساتذة كامبردج : « ان هذه السيمفونية كثيرة الشبه بسيمفونية بتهوفن التاسعة . » فاجابه براهمز ، بسخريته اللاذعة المعروفة عنه : « ان كل حمار يعرف ذلك . »

وفكرة سيمفونيته هذه والحانها اقتبسها براهمز وتأثر بها من تاسعة بتهوفن حيث استطاع براهمز ان يعبر

بموسيقى الآلات عن كثير من المعاني الانسانية الرائعة التي عبر عنها بتهوفن في تاسعته بالغناء .

وتاتي بعد سيمفونيته الاولى سيمفونيته الثانية فتصبح نموذجا في كتابة السيمفوني عند سائر الموسيقيين، وتبرز السيمفوني الثالثة وفيها من الالحان الغامضة والانغام التائهة ما يحار فهمه ، ويصعب تفسيره ، وخاصة في الحركتين الاولى والثانية ، ولكن هذا الغموض سريعا ما يفسره اشراق الحركة الثالثة بنغمها الحلو الرائع وصخب الحركة الرابعة بالحياة والفرح الذي يظهر فيهما براهمز براعته في توليد الانغام من مختلف المقامات . اما السمفوني الرابعة ، فكانت الذروة في اعمال براهمز ، ودرة فريدة في تاج السيمفوني ، ومثلا اعلى في السبك والصياغة الفنيتين.

قد نسمع قائلا يقول ان براهمز الماني قح في موسيقاه، والواقع اذا اردنا ان نعثر على موسيقى تناول افراح وآلام الانسانية من وراء قوميته فليس لدينا في الحقيقة سوى براهمز . واما ما يقال عن شوبان (٤) وعن موسيقاه القومية ، فان في هذا القول كثيرا من المبالغة لان شوبان الف الى جانب الحان البولينز (٥) الوطنية الحانا اخرى ترضي ذوق الفرنسيين ، وتعبر بالوقت ذاته عن نفسيته المريضة اليائسة ، بينما لا نجد في موسيقى براهمز ـ وشتان بين موسيقى براهمز وموسيقى شوبان حيث لا نستطيع ان نجد وجها للمقارنة ـ هذه النفسية المريضة ، وهذا اليأس القاتل الذي لا يبعث على التفاؤل ، لان براهمز حتى في احزانه نجده ينتهي الى تفاؤل وامل باسمين كمعزوفة « التراجيك » وغيرها .

واوضح مثال على عصبية براهمز القومية هو في شهرته التي نالها عند الشعوب الجرمانية والانكلوساكسونية حتى لقد سماه هؤلاء الآخرين بـ « الموسيقي الجدي » لخلو موسيقاه مما تنبو منه الاسماع ولاعطاء كل موضوع وفكرة حقهما ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والموسيقي العالمي ولهلم فورت فانجلر يعمل مع برونو فالتر و كارل مونخ على ترغيب الشعوب (٦) اللاتينية بالاستماع الى موسيقاه ونشرها فيما بينهم .

وتمتاز موسيقى براهمز بالعمق الفلسفي ، والعواطف المكبوتة المنطوية على نفسها ، التي لا تكاد ترى قبسا من النور حتى تتدفق حارة مجنونة تجتاح كل شيء في طريقها حتى براهمز نفسه .

وبراهمز في موسيقاه دقيق ، شديد الحساب على كل نوطة يخطها ، وينظر اليها بميزان النقد ، ولذا نرى ان اعماله الفنية ، كانت خلاف سائر الموسيقيين ، فعندما الف سيمفونياته الاربع كانت الاخيرة اقوى من الثالثة ، كما ان الثالثة كانت اقوى من الثانية والثانية اقوى من الاولى ، ومن هذا المثال يتبين لنا ان براهمز كان في تقدم مستمر ، بينما كان غيره من الموسيقيين تتراوح مؤلفاتهم بين العادي والجيد ولنأخذ بتهوفن نفسه مثلا فنجد ان سيمفونيته الثالثة والخامسة اقوى بكثير من الرابعة والسادسة ، وعلى هذا قس لدى سائر الموسيقيين اطلاقا عدا براهمز الذي لا يعترف بخطأ مهما كان تافها وعاديا ، فهو لا يرحم نفسه لاية خطيئة اطلاقا .

الف براهمز غير سيمفونياته الاربع ، اربع مقطوعات من نوع الكونشرتو اشهرها الكونشرتو الاولى والثانية للبيانو، والثانية اقوى من الاولى ، كما الف كونشرتو ثالث للكمان وهو واحد من خمس كونشرتات رئيسية في العالم لمؤلفيها (بتهوفن ، براهمز ، سيبليوس ، تشايكوفسكي ، باغانيني) وقد اهدى هذا الكونشرتو لصديقه عازف الكمان الشهير « يواكيم » الذي وضع لها (الكادنزا) . واما الكونشرتو الرابع فكان من اروع مؤلفاته في هذا المضمار ، وهو من اجل الكمان وآلة التشيلو وتصاحبهما كالعادة الفرقة السيمفونية الكاملة ، وهذا الكونشرتو يعتبر اول حدث فني في العالم يقوم به براهمز ويبلغ فيه اوج الصياغة الفنية ويرفعه الى مصاف عباقرة الفن .

ولبراهمز غير هذه الروائع ، روائع اخرى لا تقل شأنا في هذا المضمار وهي خمس قطع سوناتا ، منها اثنتين للكلارنيت وثلاث للكمان ، وخماسيتين ، واحد للكلارنيت والآلات الوترية وثانية للبيانو والآلات الوترية ، وثلاثيتين .

عنده غير قطع الليدر الغنائية مؤلف ديني ضخم اسمه الصلاة الجنائزية (الركوايم) الالماني ويستمر الاستماع اليه ساعتين ونصف الساعة . وبراهمز في مؤلفاته كلاسيكي القالب ، رومانتيكي الطابع ، كره الموسيقيين الثائرين لمجرد الثورة على القوالب الكلاسيكية امثال ليزت وبرليوز وغيرهما من الذين وجدوا في الشعر والروايات مجالات واسعة لموسيقاهم ، ولولا وجود براهمز لاثر خلاط الرومانتيكية وشوائبها على القالب الكلاسيكي الذي استطاع براهمز ان يحافظ عليه وان يخلق من وراء جدرانها موسيقى عبقرية قلما يجود الزمان بمثلها .

دمشق **صميم الشريف**

---

(٤) موسيقى بولوني عاش اكثر حياته في باريز. (٥) الحان وضعها شوبان من اجل بولونيا. (٦) من المعروف ان الشعوب اللاتينية (فرنسا ، ايطاليه واسبانيا) ودول امريكا اللاتينية ، لا تستسيغ الا الموسيقى السهلة التناول التي لا يحتاج فهمها الى تفكير عميق .

كتب غربية عن الشرق الاوسط

بقلم وديع فلسطين

*

ليس ادل على اهتمام العالم بمنطقة الشرق الاوسط من المؤلفات الفرنجية الكثيرة التي اصدرتها دور الطباعة اخيرا لمعالجة شؤون هذه الرقعة . اما مجتمعة واما على انفراد . وقد احصينا اكثر من ٥٠ كتابا صدرت في بضعة الاعوام الاخيرة في الولايات المتحدة وبريطانيا تعالج شؤون الشرق الاوسط . اما بصفة عامة او بشيء من التخصيص ، كتبت جميعا باقلام كتاب من اكبر الباحثين ، وعن دور نشر هي من اكبر الدور . وقرانا فضلا عن ذلك عشرات من البحوث المتعلقة بالشرق الاوسط في عشرات بل مئات من الصحف الانجليزية والامريكية والفرنسية ، مما ينهض دليلا على ان العرب اليوم ــ وهم ابرز مجموعة في الشرق الاوسط ــ يحتلون في العالم مقاما رفيعا يسترعي اهتمام الباحثين ويستوجب عنايتهم .

قرأنا عن مصر كتبا جديدة مثل « مصر في منتصف القرن » لشارل عيسوي وهو طبعة ثانية منقحة للكتاب صدر له من بضع سنين ، و « العلاقات ــ الانجليزية ــ المصرية ١٨٠٠ ــ ١٩٥٣ » لجون مارلو ، و « بريطانيا العظمى ومصر ١٩١٤ ــ ١٩٥١ » وهو طبعة ثانية مزيدة منقحة للكتاب صدر في عام ١٩٣٦ . فضلا عن ان هناك كتابا جديدا صدر أخيرا في لندن عنوانه « مصير مصر » بقلم محمد نجيب وتعذر الظفر به في سوق الكتب القاهرية .

وقرانا عن المملكة العربية السعودية كتاب « بعث الجزيرة العربية » لجورج خير الله ، وكان لي حظ ترجمته الى اللغة العربية غير ان هذه الترجمة لا تزال مخطوطة تنتظر نشرها . وكتاب « اليوبيل الفضي » لجون فلبي ، وكتاب « الهضاب العربية » لجون فيلبي وكتاب « المملكة العربية السعودية » ، لجون فلبي ، و « شبه الجزيرة العربية » لريتشارد سانجر و « العربية السعودية » لكارل تويتشل و « الطريق الى مكة » لمحمد اسد ، وهو يهودي نمسوي اعتنق الاسلام ، و « حكام مكة » لجيرالد دي جوري و « رحلة عربية » لجيرالد دي جوري .

وقرانا عن العراق كتابي « العراق ١٩٠٠ ــ ١٩٥٠ » لستيفن همزلي لونجريج و « العراق المستقل » لمجيد خدوري .

وقرانا عن الشرق الاوسط عامة عشرات من الكتب منها « الشرق الاوسط » للمعهد البريطاني الملكي للشؤون الدولية و « الشرق الاوسط ١٩٥٥ » من مطبوعات يوروبا و « الشرق الاوسط » لهالفورد هوسكتر ، و « الشرق الاوسط في الحرب » لجورج كيرك و « الشرق الاوسط ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ » لجورج كيرك و « الشرق الاوسط في شؤون العالم » لجورج لنزوسكي و «زيت الشرق الاوسط» لستيفن همزلي لونجوريج و « العرب والغرب » لكلير هولنجورث و « العرب في التاريخ » لبرنارد لويس و « بريطانيا والشرق الاوسط » للسر ريدر بولارد و « ايران » لريتشارد فراي و « شتاء في جزيرة العرب » لفرايا ستارك و « عرض للشرق الاوسط » لستانلي موريسن و « البحر المتوسط والشرق الاوسط » لبلايفير و « الخليج الفارسي » وهو طبعة جديدة من كتاب السر ارنولد ولسن و « نزاع الزيت الانجليزي الايراني ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ » لالان فورد و « دبلوماسية الزيت » لنصر الله فاطمي و « الزيت العربي » لميكسل وتشرني و « يقظة العرب » لجورج انطونيوس ــ وهو طبعة جديدة ــ و « قصة اللواء العربي » للفريق باجوت جلوب باشا و « تاريخ العرب » لفيليب حتي و « تاريخ سوريا » لفيليب حتي ــ هذا وقد انبأني الدكتور حتي في رسالة خاصة بانه يعكف الان على اعداد بحث عن تاريخ لبنان ــ و « سوريا ولبنان » لسيسيل حوراني و « الدم والزيت والرمل » لروي بروك و « موارد الشرق الاوسط » لمعهد الشرق الاوسط في وشنطن و «الصحافة اليومية في البلاد العربية » لتوم مكفادن و « تقرير معهد الصحافة في زوريخ عن الرقابة على صحف الشرق الاوسط ــ ١٩٥٤ » و « الاعمدة السبعة المنهارة » لجون كيمش و « فلسطين شغلنا » لميلر بوروز ومذكرات الكونت فيليب برنادوت و«السياسة والاقتصاد في الشرق الاوسط » وهو طبعة جديدة بقلم بونيه « وثمن اسرائيل » لالفرد ليلنتال و « القافلة » لادورد عطية و « الارض والفقر في الشرق الاوسط » لدورين وورنر و « اللاجئون العرب » للانسة نيكسين و « اللاجئون الفلسطينيون » لفايز صايغ و « التطور الاقتصادي للشرق الاوسط » لبونيه و «العالم العربي » لنجلاء عز الدين و « عربي يروي قصته » لادوارد عطية و « الزيت والعرب والتاريخ » لكرمت روزفلت ، عدا الكتب التي ظهرت عن السودان الحديث لمكي عباس والسر هارولد مكميكل ، وعدا الكتب التي ظهرت عن عدن وحضرموت وغيرها . ولا يفوتنا التنويه هنا بكتاب عن « عمان » اعده المستشرق الامريكي الدكتور جورج رنس .

والى جانب هذه الكتب ، التي تكاد تكون متاحة في المكتبات ، هناك كتب اخرى لا معدى عن مطالعتها ودراستها اذا اراد المرء ان يستكمل دراسته للشرق الاوسط ، منها كتاب « التجربة والخطأ » لحايم ويزمان و « بن غوريون » للتفينوف و « ثورة فلسطين » لمناحيم بيجن .

وهذه المؤلفات جميعا ظهرت في خلال بضعة الاعوام الاخيرة ، وما هذه القائمة بمستكملة بل لعلها ناقصة شديدة النقصان ، وبعضها طبعات جديدة للكتب سبق ان صدرت ونفذت ــ وهذا دليل على ما يلقاه الشرق الاوسط من اهتمام القراء في أنحاء العالم الغربي ــ وبعضها كتب جديدة الفت على اثر بروز كتلة دول الشرق الاوسط في المجتمع العالمي اثر الحرب الاخيرة . وكل هذا ينبغي ان يوقظنا على حقيقة امرنا ، فندرك اننا قوة يعتد بها ، وان العالم يتابع انباءنا المعاصرة باهتمام وشوق ويحاول استفتاء تاريخنا

القديم ليقف منه على اسرار هذه النهضة الحديثة وعلى اصولها وجذورها .

وثمة كتب اخرى ذات موضوعات عامة ، ولكنها افردت فصولا مسهبة عن شؤون الشرق الاوسط بحيث لا معدى للباحث عن الرجوع اليها اذا اراد ان يكتب او يدرس شؤون هذه الرقعة من العالم ، مثل مذكرات فورستال الذي كان وزيرا للدفاع في الولايات المتحدة ، ومثل كتاب «اراض غريبة وشعوب حبيبة » الذي كتبه القاضي الامريكي وليم دوجلاس على اثر زيارته لسوريا ولبنان والاردن وبلدان اخرى ، ومثل كتاب « الستار الحديدي على اميركا » لجوي بيتي الذي فضح فيه سياسة الرئيس السابق هاري ترومان تجاه فلسطين ، ومثل كتاب « في مكان ما جنوب السويس» لدوجلاس ريد . هذا كتاب الدكتور جاك خوري عن فلسطين الذي صدر في القاهرة باللغة الفرنسية .

ويقابل هذا الاهتمام الثقافي والاقتصادي بامورنا من جانب دور الطباعة الغربية والكتاب الغربيين والقراء الغربيين ، اهمال فاضح واضح لانفسنا من ناحيتنا نحن . فهذه المؤلفات التي اوردنا طرفا منها ، هي مؤلفات نفيسة جدا ، وان تباينت وجهات نظر اصحابها وان تضمنت ما قد يتعارض مع وجهات نظرنا . ولكن ذلك ينبغي الا ينتقص من قدر هذه الكتب ، بل ينبغي علينا ان نتصدى لترجمتها جميعا ، وان نعلق عليها بما نراه من ملاحظات زيادة في الفائدة وتبصيرا للناس في هذا الجزء من العالم بما يكتب عنهم ويقال .

بل ان حركة الترجمة هذه ينبغي ان يصاحبها تفكير حديث ، فتكف اعمال منع بعض هذه الكتب من دخول البلاد العربية . وفي الملحق الادبي لجريدة التيمس اللندنية وفي صفحة عرض الكتب في مجلة « شؤون الشرق الاوسط » التي تصدر في نيويورك و « مجلة الشرق الاوسط » التي تصدر في وشنطن تقاريظ ممتعة للكتب صدرت في الخارج اخيرا عن الشرق الاوسط ، ولكن لا يزال دون الحصول عليها كثير من الجهد والعناء مع ما هي عليه من اهمية . وكان اجدى واجمل ان تتاح هذه الكتب للجميع ، وان تترجم بدورها مع اضافة تعليقات وشروح يكون فيها الرد المقنع المفحم .

واذا كان من الحتم علينا ان نعنى بما كتبه عن الشرق الاوسط الكتاب الغربيون ، وبعض المستعربين والمستشرقين والذين هم من اصول عربية ، فمن الضروري كذلك ان نترجم الكتب والتقارير التي تصدرها هيئة الامم المتحدة عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلدان الشرق الاوسط اليوم ، فهي تقارير اعدت بناء على استقصاء وتحر قامت بها بعثات اوفدتها الامم المتحدة ، ووجب علينا ان ننتفع بها وبآرائها في رسم مناهجنا ووضع خططنا .

وقد طالعنا اخيرا عدة تقارير نفيسة حديثة للامم المتحدة عن اللاجئين من عرب فلسطين وعن تجارة البلدان العربية وعن اقتصاد الشرق الاوسط وعن نشاط البنك الدولي للانشاء والتعمير في بلدان العالم ومنها الشرق الاوسط ، وقرانا كذلك تقريرا لبعثة وزارة التجارة البريطانية التي زارت هذه الرقعة في العام الماضي لبحث اسواق الشرق الاوسط ، وتقريرا للمستر كمبر باتش نشرته الحكومة البريطانية عن الاحوال الاقتصادية لمصر ، وتقريرا مماثلا اصدرته حكومة لندن عن احوال العراق الاقتصادية ، عدا المضابط الرسمية للمحادثات البريطانية المصرية في جميع ادوارها . وهناك تقرير اعدته الحكومة الامريكية عن مشروع الليطاني وقدمته الى الحكومة اللبنانية ، فلعله بدوره يظفر بحظه من الترجمة العاجلة .

وجميع هذه التقارير اقتضت من الذين اعدوها ثمنا غاليا دفعوه من مهدهم وصحتهم ودأبهم ، فاستخلصوا النتائج بعد عناء ، وخاصة ان الاحصاء لا يزال بدائيا في معظم دول الشرق الاوسط ، ولا يزال بطيئا في البقية الباقية من دول هذه الرقعة .

فاذا ارادت اللجنة الثقافية للجامعة العربية ان تثبت وجودها حقيقة ، فعليها بالكتب التي اسلفنا اسماءها ، تترجمها وتنشرها تباعا . وعليها بكتب اخرى فاتنا ذكر اسمائها قبلا مثل «البرلمانات والاحزاب في مصر» لجيكوب لاندو و « مصر في مفترق الطرق » لانطوني جالاتولي ، و « الزيت الاجنبي في العالم الحر » ليونارد فانتج ، وعليها بمتابعة البحوث العلمية الممتعة التي تنشرها المجلات الغربية الجادة ، فتتصدى لترجمتها جميعا حتى يقف العرب على كثير من الشؤون التي تتعلق بهم والتي فطن اليها الباحثون الغربيون وسجلوها احسن تسجيل قبل ان نفطن نحن اليها وقبل ان نسجلها .

والمأمول اذا راق هذا الاقتراح لادارة الثقافية للجامعة العربية الا تعمد الى خزن هذه الكتب المترجمة في مخازنها الفسيحة العريضة التي تتسع اليوم لالاف من الكتب التي تطبعها الادارة ومعهد الدراسات العربية ، بل ينبغي ان توزعها على رجال الفكر والمشتغلين بالقضايا العربية سياسية واقتصادية واجتماعية ، سواء في الشرق العربي كله او حيث يوجد من يقروان بالضاد .

القاهرة

وديع فلسطين

اناشيد ريفية

ضيعتي .. والشتاء

•

ضيعتنا اليوم كانت هادئة
والدروب معجون فيها الطين
قال : اليوم اول الشتاء
وعصفور الدوري ما عاد يزقزق !
اليوم اول الشتاء ؟
يعني ان الزهور ماتت
ومات الاخضرار في الحقول
وصقعت النغمات في ناي الراعي
ونامت النجمات في فراشها ، ولفتها الغيوم
وعانقت الشمس القمر ، في غفوة طويلة
اليوم اول الشتاء ؟
يعني ان حكايات أمي ستطول
والمجامر في الدور ، ستحمر فيها كتل الجمر
والقلوب .. القلوب سيغلي الشوق فيها
والكذبات ستطرز لبالينا الحلوة
اليوم .. اول الشتاء ..
يعني ان اعصاب الزنبق ، اصفرت
والعذارى باعدهن البرد عن طريق العين
والنوافذ كلها اطبقت جفونها .. وما عادت
جارتي تدلي برأسها من الشباك
والسطح المبلول ، نبتت عليه اعشاب غريبة
اليوم أول الشتاء ؟
يعني ان سوسنة جارتنا مرضت
وطار السوسن من كف جارتي
قال : السوسن عند الشمس
والشمس اليوم يتزوجها القمر
اليوم اول الشتاء ..
يعني ان ريش الحمام الابيض
ستلطخه قطرات المطر بشيء : أسود
وقطة اختي الصغيرة ، جاء دورها
لتنام على اللحاف ..
يا قطة اختي الصغيرة اليوم اول الشتاء
يعني ان شجرة الجوز اصلعت ..
نفضت أزرار الخضرة عن جسدها
وشلحت الحورات قمصانها واطلت
من بين الضباب عارية ..
فيا لقلة الحياء !

قضبان القنّب

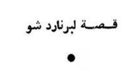
الى « ثريا ملحس » .. مبدعة .. وقضيب قنب !

•

طرقات .. طرقات على الارض
والطين يملأ الدروب
والمبدع المتعب .. يتثاءب
وحبات المطر .. تنقر الارض
طرقات ..
طرقات من حبات المطر
ولون الربيع .. في احتراق
وقضبان القنّب .. تنطوي .. تلين
تنطوي ؟ ! تلين ؟ !
يا قضبان القنّب ..
طرقات .. طرقات ..
والزمن في الليل .. يتطاول
وينبح من بعيد .. ابن آوى
ابن آوى في بعيد ..
وعلى الطين .. تغفو قضبان القنّب
طرقات .. طرقات ...
ووقت الشمس : نحو الشمس
تعالت قضبان القنّب
تعالت خضراء .. طويلة .. طويلة
وبينها ، تنقل عصفور !
من دمها الاخضر شربت حشرات
وصرصور يغني للقمر
للصباح .. لراع .. ولحبيبين !
طرقات على الارض ..
طرقات من حبات المطر
وبقضبان القنّب ، يلتف الظلام
... ويمر التاريخ ...
فليس يرى التاريخ قضبان القنّب
تنطوي ؟ !
تلين ؟ !
تغفو ؟ ! ... يا قضبان القنب ..
يا حياة المبدعين ...

سوريا ــ دوما

عبد الهادي البكار



السيرانادا

ترجمة سليمان موسى

احتفلت ببلوغي سن الاربعين ، فدعوت جماعة من اصدقائي لقضاء السهرة في منزلي ، واتفقت مع بعض الهواة على اداء تمثيلية غنائية كتبتها بنفسي . وكان ضيوفي يحسبون انني سأشترك في التمثيل ولكني اعتذرت لهم بكوني أقوم بمهمة المضيف الى جانب مهمة مدير المسرح ، وكنت في الحقيقة ارجو ان يتسع لي الوقت كي اجلس الى جانب ليندا الحسناء ، ولكن شابا يدعى برلاستر من ضباط الفرقة الثانية عشرة افسد علي مقاصدي ، اذ اغتنم فرصة غيابي فجلس الى جانب ليندا واخذ يتحدث اليها في هواياته الموسيقية .

واذ كانت ليندا مولعة بالموسيقى فقد كانت ترى في برلاستر مزايا لا تراها في سواه . وقد اشتد غيظي عندما رايتهما مستغرقين في الحديث ، فاقتربت منهما وفي نيتي افساد متعة الحديث عليهما . وعندما رآني برلاستر مقبلا نهض قائلا انه يود التفرج على زوايا المسرح ، وشيعته جذلا ثم جلست الى جانب ليندا وسالتها عن المرحلة التي بلغتها في دراساتها الموسيقية .

وقالت ليندا ـ انني ادرس موسيقى شوبرت في الوقت الحاضر . آه يا كولونيل جرين . أتعرف السيرانادا التي وضعها شوبرت ؟

ـ يا لها من قطعة ساحرة

ـ أتظن برلاستر يستطيع ان يغنيها ؟

ـ أتراك مولعة جدا بهذه القطعة ؟

ـ كل الولوع .. انني احلم بها

ـ ترى أيسعدني الحظ بالاستماع لصوتك يغني هذه القطعة بعد الفراغ من تمثيليتي الصغيرة ؟

ـ انني لا اجسر على غنائها بعد . ها هو برلاستر قد عاد ، وسأحصل منه على وعد بغنائها .

وقال برلاستر بلهجته البعيدة عن الذوق ـ لا اود ان ازعجك يا جرين ، ولكن الممثل الذي سيلعب على البوق لم يحضر بعد .

وقفزت عن مقعدي . واسرعت الى القاعة بعد ان اعتذرت لليندا ، وبعد البحث استيقنت ان ذلك التعس لم يحضر حقا ، ولم ادر في حيرتي كيف اتصرف خاصة وان عقدة التمثيلية تدور حول العازف بالبوق ، وعندما اعلن الجرس موعد ابتداء التمثيل لم اجد بدا من اخذ البوق بيدي ، ووضعت طرفه في فمي ونفخت بشدة ، ولكن لم يخرج منه اي صوت . ودق الجرس مرة اخرى فتملكني الغيظ واخذت نفسا عميقا ونفخت في البوق مرة اخرى فصدر له دوي كالرعد القاصف ، كادت تصم منه اذني : ورايت منه زجاج المصابيح يتقصف وقبعات ضيوفي تتطاير في الفضاء .

★ ★ ★

وقضيت الثلاثة اشهر التالية في التمرن على نفخ البوق ، ثم طلبت الى فنان بارع كان يقوم بتمريني ان يدربني على عزف سيرانادا شوبرت . وعبثا حاول اقناعي باستحالة اداء تلك القطعة على البوق ، ولكني اصررت ووعدت ان اكافئه بخمسة دنانير اذا استطعت ان اعزف تلك القطعة . واغراه المبلغ فانهمك على تدريبي بحماسة تكاد تعادل حماستي . واخيرا نجحت .

وقال مديري وهو يضع الخمس دنانير في جيبه ـ لو كنت مكانك يا كولونيل لعزفت اللحن خاصة لنفسي وعزفت الحانا خفيفة سواء لاصدقائي . انني لا استطيع ان اضمن قيامك به حسنا اذا لم اكن الى جانبك .

ولم اعر نصيحته انتباها . اذ رايت انني اكاد احقق املي بعزف السيرانادا على مسمع من ليندا . واذ كنت على اتصال مع خادمها بعد ان رشوته ، فقد علمت انها ستقضي أمسية احد ايام حزيران معتكفة في منزلها . ورايت في هذا فرصة سانحة لي . وعندما غربت الشمس وضعت البوق في كيس وقصدت الى الضاحية التي تنزل فيها ليندا . وعندما بلغت هدفي واقتربت من المنزل فاجأني صوت برلاستر ينادي ـ هالو كولونيل .

وسألته عن اتجاهه قبل ان اتيح له الفرصة لسؤالي فاجاب : انني ذاهب لزيارة ليندا . لقد فهمت منها انها ستكون وحدها هذا المساء ، ولا ضير في البوح لك بهذا يا كولونيل ، فانت رجل شريف . انني اعبدها . ولو كنت موقنا انها تميل لشخصي لا لصوتي لكنت اسعد رجل في بريطانيا

وقلت ـ انا على ثقة ان ميلها لا يمكن ان يكون لصوتك.

واخذ يدي بين يديه قائلا: شكرا لك. ولكنني لا استطيع ان ابالغ في اطراء نفسي فاصـــدق ما تقول. اتعرف انني لم اجد في نفسي جراة على غناء سيرانادا شوبرت في حضرتها منذ ان علمت بانها تعشق سماع تلك القطعة الموسيقية؟

ـ ترى الم يعجبها غناؤك؟

ـ قلت لك انني لم اجرؤ على غناء السيرانادا بالرغم من الحاحها علي. ولكني سأعمل كل ما في وسعي لارضائها. ولسوف افاجئها بغناء تلك القطعة في حفلة السيدة لوكسلي غدا. لقد كنت اتمرن منذ شهور على اداء تلك السيرانادا اداء كاملا. واذا ما التقيت بها فارجو ان لا تذكر لها شيئا من هذا. لانني اقصد ان تكون مفاجأة لها.

وافترقنا وانا سعيد ليقيني ان مفاجأته المرتقبة ستأتي بعد اوانها. ورايته يدخل منزل ليندا، وبعد بضع دقائق ولجت الى الحديقة وجلست انتظر واراقبهما. وكـــان البرد قارسا فكدت اعود الى منزلي بعد ان جاوزت الساعة العاشرة والنصف. غير اني ما لبثت ان رايتهما ينهضـــان وسمعتها تقول له:

ـ لقد غنيت لك ثلاث مرات، وكان بمقدورك ان تغني تلك السيرانادا لي.

ـ انني مصاب بزكام. فاعذريني.

ـ هراء. انني لا ارى عليك علائم الزكام. ولذا فلن اكرر اليك مرة اخرى.

ـ لا تظلميني. وربما ستسمعينني اغنـــي تلك السيرانادا في وقت أقرب مما تتوقعين.

ـ أقرب مما اتوقع؟ اذا كنت تعد لي مفاجأة فسأتقبل اعذارك، وسأراك غدا في حفلة السيدة لوكسلي.

وبعد ان غادر المنزل رايتها تقف قليلا الى جانب النافذة وبيدها كتاب، ثم رايتها ترخي الستائر وتجلس بحيـــث كنت استطيع رؤية ظلها.. لقـد ازفت فرصة العمر. وكان الهدوء شاملا. وبدات اعزف سيرانادا شوبرت على بوقي. ورايتها تضع كتابها جانبا وتصغي، وكان طرف البوق باردا كالثلج وشفتي ترتعشان من البرد، ولكني رغم هذا مضيت في اغنيتي وثقتي بنفسي تتزايد.

وعندما انتهيت سمعت تهليلا من وراء سور الحديقة مما دلني ان المارة وقفوا يستمعون الى موسيقاي الرائعة في تلك الساعة المتأخرة من الليل. ووضعت الكيس في البوق. وتطلعت الى الظل وراء الستائر فرايتها تكتب. ثم سمعت جرسا يرن. وبعد برهة فتح باب المنزل ورايت خادمها يدنو مني وفي يده ورقة مطوية. وكان قلبي يخفق خفقانا عنيفا.

ـ لقد طلبت الي الآنسة ليندا ان اعطيك هذه الرسالة.

وهي ترجوك ان لا تفتحها الا بعد وصولك الى منزلـــك. ليلتك سعيدة يا سيدي. وعـــدت الى منزلي مسرعا. وفتحت رسالتها وقرات:

« عزيزي برلاستر

يؤسفني انك لم تجد في رغبتي لسمـــاع سيرانادا شوبرت الا دافعا للسخرية. ولو لم اكن احسب انك تقدر رغبتي لما بحت لك بها. على انك ربما رضيت اذا ما علمت انك شفيت نفسي شفاء تاما، اذ لن اسمع تلك السيرانادا مرة اخرى دون ان يمتزج عندي شعور السخرية بشعور الالم. ولم اكن اعلم قبلا ان حنجرة الانسان يمكن ان تخرج اصواتا كهذه. وما كنت احسب ـ عندما قلت لي انـــني سأسمع السيرانادا اقرب مما اتوقع ـ انك تنتوي فعل ما فعلت. وعلى هذا فلم يبق لي الا ان اقول لك كلمة واحدة. وداعا. ولن يسعدني الحظ بلقائك غدا في حفلة السيدة لوكسلي. ويؤسفني انني لا استطيع قبول زياراتك بعد الان » . [ليندا]

واذ كنت موقنا انني سأجلب لبرلاستر حزنا والما اذا اعطيته رسالة ليندا، فقد احتفظت بها. كما ذكرت نصيحة مدربي وتوقفت عن عزف البوق منذ ذلك الوقت.

* * *

وها هي ليندا قد صارت زوجة لي، واسألها احيانا عن اسباب تجنبها لبروستر ـ وكان قد اقسم لي بشرفه العسكري انه لا يعلم سببا لهذه القطيعة ـ ولكن ليـنـدا ترفض دائما ان توضح لي الاسباب.

سليمان موسى

الاردن ـ المفرق

الشراع

✳

على النور أمس نشرت الشراع
وأطلقته هائما في البحار ..
وطالت ليالي النوى
وبتنا أنا والجوى
وتذكار يوم الوداع
عيونا تجوب السحاب
وتعبر فوق العباب
وفي عمق أنظارها
نداء يبوح بأسرارها :
لنا فوق زهو البحار
شراع أغر كريش الطيور
طروب كلمع الندى
رقيق كعطر الزهور
شراع نأى منذ ذاك الربيع
وأبقى لنا حلما بالاياب !

***

وحتى النداء الوديع
يفر بعيدا .. يضيع
ويقذف موج البحار
الى شاطئي بالصدى
وفي الجو تجري الغيوم
وتلقي بأرضي ظلال الوجوم !

***

شراعي ! أكان شراع القصيد
وتلك البحار بحار الجليد ؟ !

الجامعة الاميركية ببيروت رزوق فرج رزوق

انت ِ ...

✳

أنت ِ منّي
من صميمي أنت ِ ، من هذا الكيان
أنت ِ روحي أنت قلبي أنت عقلي
هذه أنت ِ ، وان جار المكان
فالبحار
لا تواري وجهك المشرق عنّي
أنت ِ منّي

***

ههنا أنت ِ ، أجل أنت هنا
تسكبين اليأس في كأس المنى
انما أنت ِ أنا
فالى أين ، الى أين المفر ؟
أتفر الارض من سيل المطر ؟
أم يفر الغصن من ساق الشجر ؟

***

فاحسبي ذاتك ِ يا روحي غريبه
عن كياني
وافعلي ان شئت ِ أفعالا مريبه
كزماني
واجحدي حبّي وعطفي وحناني
فستبقين كما كنت ِ ... أجل أنت الحبيبه
وسأبقى في جحيم المعبد
باكيا أنتظر
والهوى يستعر
ربما يبسم حبي في غدي ....

بغداد حارس طه الراوي

رشاد دارغوث قصاص يعالج ادب الحياة

بقلم نظير زيتون
عضو العصبة الاندلسية بالبرازيل



أقرب الروايات والاقاصيص الى القلوب ، واحبها الى النفوس تلك التي تتصل بحسنا ومجتمعنا وكياننا ، وتتوغل في نفسيتنا وانسانيتنا ، فنلقى فيها صورة صادقة للحياة الواقعية التي نحياها وللبيئة التي نعيشها بخيرها وشرها وجمالها ودمامتها ، وآلامها واحلامها .

وميزة هذه الروايات والاقاصيص انها تسبح في فلك هو فلكنا ، وتدور على محور هو محورنا ، وتنبت في ارض هي ارضنا ، وتتكشف عن وجه هو وجهنا وتنطق بصوت هو صوتنا ، فلا تستورد من الخارج قلوبا غير قلوبنا ولا اذهانا غير اذهاننا ، ولا عادات غير عاداتنا ، ولا شخوصا غير شخوصنا ، أو الوانا غير الواننا .

ولا يظن القارىء انني من اعداء «الاستيراد الاجنبي» في نتاج الفكر الروائي ، والترف الادبي . لا ! ولكني أخشى ان يقودنا هذا « الاستيراد » غير الموجه ، الى التخبط والبلبلة ، والفوضى وبالتالي ، الى بروز نفسية جديدة متعجرفة ، متصدعة الجوانب الاجتماعية متمزقة الروابط القومية ، متهجنة كانها لا شرقية ولا غربية !

واذا آمنت بهذا « الاستيراد الاجنبي » فانما أؤمن به وسيلة لا غاية ، واسلوبا لا موضوعا ، واطارا لا صورة ، وقالبا لا مادة ، اننا نفتقر اليه من باب توسيع الثقافة والاقتباس والدراسة والمقارنة . أما ان نتناوله غذاء لنا وعلاجا . فهذا الخطل كل الخطل ، ما دامت ادواؤنا غير ادوائهم ، وما دامت قضايانا غير قضاياهم ، وما دامت آلامنا واحلامنا غير آلامهم وأحلامهم .

نعم ان الظلم واحد في الشرق والغرب ولكن اساليبه متباينة ، والجوع واحد ، ولكن اسبابه متعارضة ، والاستبداد واحد ، ولكن أبوابه ومراميه متنافرة ، والسرقة واحدة ، ولكن صورها متناقضة ، والتقهقر والذل والكذب والاستعباد والبؤس ، هذا كله واحد ، ولكن الاعراض والاشكال والقوالب مختلفة ، فكان بديهيا بعد هذا ان نتجرع من الادوية ما نراه ناجعا في شفائنا ، لا ما يتناوله الآخرون . فالعلاج الذي ينشط الكبد مثلا ، لا يجدي نفعا في التهاب الزائدة المعوية ، ومن كان يشكو فقر الدم لا يبرأ بعملية جراحية او باقراص الكينا .

وكان بديهيا ايضا ان نحل قضايانا وسائر معضلاتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، في حدود قوانا وامكانياتنا ، وطبائعنا وحاجاتنا ، لا في حدود طبائع الغرباء ومنازعهم . فاذا صلح النظام الدكتاتوري لامة ، فلا يعني انه يصلح لكل الامم . واذا فسد النظام النيابي في قطر ، فلا يؤخذ هذا النظام ، بجريرة ذاك القطر . فالامة هي التي يجب أن تحوك الثوب وتفصله لنفسها . أما أن « تستورده مفصلا » فقد يضيق ولا مهرب من تمزقه ، وقد يتسع ولا مندوحة عن الهزء والسخرية . . .

ويتحتم علينا ايضا ، ان نتغنى بانسانية هي انسانيتنا ، لا انسانيتهم ، وان نصغي الى قلوب هي قلوبنا ، لا قلوبهم . وان نقف عند حياة هي حياتنا لا حياتهم . وان ندرس واقعا هو واقعنا لا واقعهم ، حتى يستقيم امرنا ويصلح حالنا وينجلي ليلنا عن صبحنا المشرق ، وتتفتق براعم ارادتنا وآمالنا عن ورود حياتنا الحرة الجديدة .

★★★

ونحن اذا وحبنا بالروايات والقصص التي وضعها الاستاذ رشاد دارغوث ، وحفلنا بنقدها فلاننا رأينا فيها شيئا مما يبعث الامل ، ولاننا وقفنا فيها امام قلب نير كريم ، وبصر نافذ بعيد ، ولاننا لمحنا فيها مقدمات جميلة تعلمنا بالنتائج البارعة التي ننشدها بملء الحنجرة والعين والاذن .

فقد تحرر هذا الروائي النابه البعيد الاهداف ، الاجتماعي الغايات ، القومي النزعات ، من أكثر الآفات التي تفشت في أدبنا « المستورد » فومض في أقاصيصه ورواياته قبس من حياتنا . وقبس من نفسيتنا ، وقبس من انسانيتنا ، وهو لم يكذبنا ولا خدعنا ، ولا حاول أن يجرعنا بعض « المخدرات » الادبية الفنية التي يعتمدها فريق من المؤلفين وارباب الاقلام ، للوصول الى قلوب القراء واثارة الاعجاب .

وصفه الدكتور طه حسين عميد الادب العربي بأنه « زميل القارىء ورفيقه » في مقدمته لكتاب في « بطون الليالي » . وهو حقا صديق وفي ورفيق رقيق صديق الادب ، وصديق الصراحة الساذجة الطيبة . فاذا صافح قارئه بيده ، شعر بقلبه أيضا يصافحه ، واحس بدفء روحاني يغمر صدره ، وليس هذا بقليل .

ولرشاد دارغوث ميزة تانس بها الخواطر وتطمئن ،

وميزته في معظم ما يكتبه ، انه لا يسلب القارىء وقته ، ولا يعبث به ، ولا يشمخ عليه ، فقراؤه يشعرون حتمـا انهم جنوا احسن الجني ، وملأوا « ساعتهم » بالمستمرأ المهضوم ، فاذا فرغوا من المطالعة ، انبسطت وجوههم بشرا، ويسرا كأنهم عادوا من نزهة انيسة ماتعة ، في حديقة غناء تفاوحت أطيابها وتناغمت انسامها ، لا من ملهى او مقصف صاخب عربيد عنيف الانغـام ، خشن الاوتار ، عاصف الاجواء ...

انه لا يكتب لتسلية القراء ولا يحتال على المطالع فيملأ فراغه الابيض ، بفراغ اسود .. ولا يحفل ايضا بذلـك الاعجاب الهزيل الرخيص ، حتى يستل من القارىء العادي بسمته العابرة ، السادرة . ولكنه يكتب مدفوعا بالايمان ، يكتب ليقوم اعوجاجا ويقود خطى تائهة ، ويشفي عيونـا رمداء ، لتتفتح على آفاق ، زهراء .

وهو يتوق الى العمران والحضارة ويحث على مكارم الاخلاق ، ويتغنى بالمثل العليا . ويأبى لقومه هذا الضحل في حياتهم . وهذا الجفاف في انسانيتهم ، وهذه الفسولة في واقعهم الفكري ، والاجتماعي ، والسياسي ، وينشد لهم حياة كريمة عزيزة ، حياة قوية منيعة ، فيعود لهـذا الشرق العربي العاثر شروقه ، وتتأصل في دنيا المجـد جذوره وعروقه .

اما اذا كان لا يعنى كل العناية بالصور الفنية الروائية، ولا يلهب الحواس بالمشاهد العنيفة ولا يجنح الى الانفعالات النفسانية ، اما اذا كان يخاطب القراء ، باقرب الاساليب والتعابير الى الفهم والاستيعاب ، واذا كان لا يبالي كثيرا بفن الوصف والعرض فيناولك مثلا عنقود العنب بيده بدلا من أن يضعه على كتان مطرز فوق طبق مفضض او مذهب ، بين الخُضر النواضر من اوراق الكرمة ...

اما اذا كان لا يتأنق كل التأنق ولا يرصع عباراتـه بالجواهر اللفظية ليدل على مداه اللغوي لا مداه الفني او الفكري ، ويستبيح لقلمه احيانا ان يجاوز الحدود المعجمية والتعابير الفصيحة .

واذا كان لا يولي عناية بهذه المظاهر عـلى طرافة موضوعاته وطلاوتها ، وبراعته في الاداء ، فيرسل قصصه على سجيتها او سجيته ، لتولد ولادة طبيعيـة في جـو هادىء ناعم غير محموم او صاخب . واذا كان يقدم الحسن غير مجلوب بنظرية ، وغير مكحول باثمد ، وغـير ملون بخضاب ، واذا كان يتعجل احيانا ويستقدم ويبتسر او يخلع على « ابطال » اقاصيصه حـللا من الوداعة الطيبـة والبساطة والزهد ، ، قد يضيعون فيها .

اذا كان قد درج في الاسلوب والسـرد والعـرض والحبك والتعبير ، على طراز شبه مستحدث ، له انصاره وله اخصامه ، فلا جدال في انه يعطينا الكثير من روحـه وقلبه وفكره ، ، ويمتعنا بالجنى من ثمار حدبه وانسه ، ويغمرنا بالفيض من شعلة ايمانه ، ويؤجج في الصدر ما خمد من نيرانه .

ولا جدال ايضا في انه مطبوع غير متكلف ، ودمث رضي غير متعجرف ، وكريم سخي غير مبذر ولا شحيح . انه مرآة صافية صادقة تنعكس عليها كل ما تبثه نفسه المتسامية من الخير والحب والجمال .

والخير همسة في القلب ، والحب ومضة في العين ، والجمال نغمة في الاذن ، لا لفظة ترسمها البراعة ولا كلمة يتداولها الصيارفة والباعة .

وتراه الى هذا يستوحي التاريخ ، التاريخ العربي ، ويرسمه مبدعا كل الابداع في اهدافه واثارته . فلا يشعر القاريء انه يعيش في ظلمة الغابر الدفين ، بين الانقاض البشرية والاطلال العمرانية والاصداء البحاء الاثرية . بل يحس عالما حيا يزخر صلاحا وجمالا ونورا . وكأنه ينتفض انتفاضة القرن العشرين بقلبه وفكره وروحـه ونزاعتـه التقدمية ...

ما ابرعه في معالجة « كيمياء » التاريخ ! بل ما ابرعه في تركيب هذا الكيمياء العجيب وهذا الاكسير المرقم .

كانت « تغريبة بني هلال » رواية عامية سقيمـة المبنى والمعنى ، واذا اوحت بشيء فانما توحي بفروسية قبائلية ، ونعرة عشائرية ومكر واحتيال ودهاء . وهيهات ان تلمس فيها شيئا من المثل العليا في دنيا القوميـة والاجتماع والادب والفن ــ استغفر الله ــ تغريبة بني هلال تترك في النفس شبح الجائرم المخضب بالدماء ، المترنح غطرسة وعدوانا ولؤما ، كما تفسد عليك ذوقك الفنـي ولغتك الفصيحة وطرائك المثالية الانسانية .

بيد ان رشاد دارغوث عالجها بكيميائـه العجيب ، وسقاها من اكسيره الشافي ، وتعهدها بالهدف السامي ، وهذب وشذب وعدل ونقح ورواها بسلاقة من الادب ، فاذا الحياة تدب فيها ، واذا هي تنمو بعد جفاف ، وتنضر بعد ذبول . وتمتد اغصانها وارفة الظلال ، مثقلة بالثمار الشهية . فتتذوق عندئذ شيئا من حقيقة النفسية العربية والاهداف القومية العربية والانسانية العربية ... وتبارك اليد التي فرزت القمح من الـزوان ، وهـدمت وخططت ، ورممت واقامت على الانقاض خير بنيان ...

ونحا رشاد دارغوث هـذا المنحى في رواية « لم يذهب مع الريح » وتناول ذلك الاصطراع العنيف الذي نشب بين العزة العربية والعنجهية الفارسية ، أي بـين امة تتحفز للوثوب وكسر الاغلال ، وصون الكرامات ، واخرى تأبى الا السيطرة والبطش وهتك القداسات . وكان بارعا كل البراعة في حسن السبك والحبك ، وتلوين الصور . فقاد المعركة عربيا انوفا ، وروائيـا حاذقـا ، وسـار بالقارىء تحت اقواس النصر ، وفي ظلال رايات المجـد ، مرحلة مرحلة ، الى ان ادرك المرحلة الاخيرة في الهـدف القومي الاعلى . ــ ولك بعد هذا ان تعتبر وان تتعظ ، وان تقيس الحاضر بالماضي . فالحياة لمن تدبرها عبرة وموعظة

وحكمة ، والحياة صور تتعاقب دراكا من اليمين الى اليسار، حتى اذا انتهت عادت تتوالى من اليسار الى اليمين ، .. ولا جديد تحت الشمس !

وقد يعترض بعضهم فيقول : الا ترى ان رشاد دارغوث في روايتيه « الفرسان الاربعة » « ولم يذهب مع الريح » جاوز حدود التاريخ ، وقطع فيه ووصل ، وزركش وبرقش ، وطلاه بعض الاحيان بخضاب غير خضابه ؟

نعم ! انه لم يجار ما فرضوه علينا باسم التاريخ . ولكن من هو هذا الجريء الجسور الذي يثبت ان المؤلفات التاريخية تحوي من عناصر الصحة والتدقيق والنزاهة والصدق مئة في المئة ؟ واي نقادة جهبذ هذا الذي يملي علينا ان نضع كتب التاريخ فوق كل شبهة وشك، ونمسحها بالقداسة العلمية التي لا تزول ؟

التاريخ غير العلم العملي المجرد ، وما يصح في المخابر العلمية مثلا لا يصح ابدا في التاريخ .

فنحن نستطيع ان نحلل غازا من الغازات او حشرة من الحشرات ، تحليلا علميا كاملا لا يتناول نتائجه ادنى ريب . ولكننا نعجز كل العجز، اذا تصدينا للتاريخ بالدراسة العلمية المجردة . وغاية ما نستطيعه ـ كما يؤكد الثقات ـ ان نلم بهذا العهد من التاريخ او بتلك الثورة الماما هو ناقص لا ينفذ الى اللباب ، ولو كان المؤرخ من الضاربين في العلم بسهم وافر .

قال الدكتور جورج ماكولي ترفليان استاذ التاريخ الحديث في جامعة كمبردج : « ليس في مقدور المؤرخ ان يستوثق الا من واحد من بليون مما لا يحصيه العدد من الحقائق المسببة او المكونة لثورة من الثورات الكبرى ، او لعهد من العهود التاريخية الـذين يتعرض لتفسيرهما . وآية ذلك ان تحليلا علميا للثورة الفرنسية يقتضي فيما يقتضيه معرفة كل حديث دار في غربي اوروبا ، في زمن يمتد عدة قرون » .

وهذا القول ، على ما فيه من شدة وغلو ، يجرد التاريخ المعروف كل التجريد ، من الطابع العلمي ويجعله هدفا للشك والريبة ، واعادة النظر والتساؤل . وفوق هذا يجب ان نذكر دائما ، ان المؤلف هو الذي يضع التاريخ وفقا لاهوائه ، وهو الذي يصبغه بلون اغراضه ، وهو الذي يصوره طبقا لنزعاته وغاياته . فلا ينتظرن القارىء ، ان يرى وجه التاريخ الصحيح ، وانما يرى وجهه المقنع او المستعار وهو الوجه الذي اختاره لـه المصنف . اما المتنزهون والمتحررون فما اندرهم .

ورشاد دارغوث في « الفرسان الاربعة » ، « ولم يذهب مع الريح » كان مجتهدا في الترميم التاريخي ، وهو اجتهاد لا ينكره عليه احد ، وخصوصا متى ادركنا اهدافه القومية العربية العليا .

ولنترك الآن الروائي المرمم لعهد من التاريخ العربي وننتقل الى الروائي الاجتماعي الاصلاحي ، في « على دروب الحيـاة » و « في بطون الليـالي » و « الحـاج يحج » و « خطيئة الشيخ » .

واول ما يلحظه القارىء ، بعد مطالعة هذه الكتب القصصية ، تلك الواقعية الصريحة ، واقعيتنا التي اتخذها أرضا يزرع فيها بذور الاصلاح والتوجيه ، ويغرس فسائل المواعظ والعبر .

وكان ذلك البستاني الحكيم الوادع ، الى جـانب المحدث اللبق الناعم ، فاذا شاء اقتلاع احدى الاشجار التي دبت فيها الشيخوخة ونخرتها الحشرات ، لم يستعن عليها بالفاس يهوي بهـا ، بل عالجها بشيء من اللين والتؤدة ، دون ان ياخذ بمجازرها . واذا اراد اجتثاث الاشـواك ليوطىء التراب ويمهده لزراعة صالحة ، من ورود وأزاهير وسنابل وقطوف ، وبواسق ذات محان وظلال ، لم يعد الى النار يحرق بها هذه الاشواك والعواسج ، بل يتناول المحراث الذي يجتثها من جذورها . وبعدئذ ليسهل عليه ان يطرحها جانبا ، وينقذ الارض من شرها ـ دون ان يسيء اليهـا تقريبا ـ فاذا الجنان نضيرة وارفة ، واذا الثمار دواني القطوف . وكثيرا ما يصطدم باحد الصخور ، وهو يحرث الارض ويعدها للزراعة ، وما اكثر الحجارة في الطريـق الوعر ، ولكنه لا يضربها بالمتفجرات بل تسوقه سليقته الهادئة الرضية الى اقتلاع الصخرة بالمحاسنة ، فيعالجها ابرع معالجة ، ثم يزحزحها .

فمزاجه ، كما عرفنا من وراء اقاصيصه ، بعيد عن العنف والثورة والصخب كل البعد ، ولكنه ، على هدوئه ونعومته ووداعته ، عدو الجمود والرجعيـة والتقهقر والاقطاعية والتقاليد السوداء . عدو الجهل وسـائر الآفات الحلمية التي تعيش في اكناف المجتمع ، يناصبها العداء ويحمل عليها ويصرعها دون ان يفنيها بحـراب او

يمزقها بحديد ونار ،

فقد تناول رشاد دارغوث في قصصه مجموعة كبيرة من آفاتنا الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والنفسية وعالجها لا بالمباضع والمخدرات والادوية المرة والاساليب العنيفة ، بل بالحسنى والزجر المعسول ، والتأنيب الودود يسبكها في قالب روائي جميل يلفت نظرك ويستهويك ، فترافق المؤلف . تسير معه مرتاحا كل الارتياح ، اذ تلمس صدقه واخلاصه ونبله ، وتشعر بنزعاته الكريمة الى الخير والصلاح والانسانية . ثم تمضي ، وقد اخذ بيدك وتتابع السير وتجتاز الطريق مرحلة مرحلة دون ان تعثر او تتبرم او تضجر . ذلك ان نظرك لا يقع على ارض غريبة او شخوص غرباء ، ولا يطرق سمعك صوت غريب ولا يخفق قلبك الى جانب قلب غريب . فالمؤلف لا « يستورد » ذهنا اجنبيا ولا عينا اجنبية ولا انسانية اجنبية . هذه اللوحات التي تستعرضها هي من لوحات بلادك ومشاهدها . وهذه الاصوات التي تسمعها هي من اصوات بلادك ونغماتها ، وهذه النفسية هي نفسيتي ونفسيتك ونفسية امتك .

كل ما تراه وتسمعه هو منك ولك . اما « الجلد جلد عيسو والصوت صوت يعقوب » فهذا لا أثر له في أدب رشاد الروائي ...

ويستهويك ذلك الجمال الطبيعي الفتان ، جمال بلادك وبلادي ، وتأخذك نشوة الخيلاء والكبرياء ، وتصرخ معتزا : « يا للفراديس الهابطة من السماء ! اساءك انك استقررت على ظهر الغبراء ، فجمعت قواك وتوثبت مشرئبة شامخة متصاعدة نحو العلاء ... الا حنانيك يا ابنة الجوزاء ! »

ويطيب لك بعد هذا ان تعمد الى المقارنة والمقايسة بين ذاك الجمال الطبيعي الفتان ، وهذا الانسان . اتلقى بينهما شيئا من التناغم والتجاوب والانسجام ؟ ...

اين تلك الفاقة الروحية من هذا الخصب البشوش المعطاء ؟ اين تلك الدمامة الساخرة العابثة من هذا الرواء ، وهذا الصفاء وهذا النقاء ؟ أين تلك الظلمة الداجية المتجهمة من ذلك النور البسام المتهلل ... ؟

اللهم اجعلنا اهلا لآلائك ولهباتك ، جديرين بجمال نعمائك وبركاتك ...

وماذا اعدد من الآفات الخلقية والاجتماعية والوطنية التي عالجها رشاد دارغوث في اقاصيصه ؟

فهو يؤلمه ان يرى انهيار الاخلاق ، والوطنية في بعض العناصر البشرية الماكرة ، فيوحي اليه هذا الالم بكتابة « جلود الافاعي » .

ويلقي نظرة على بعض الزعامات المحلية ، والعادات الفاسدة فيجيء « بمذكرات خروف » .

ويسوؤه ذلك النفاق المبرقع بالالفاظ الجذابة الانيسة فينشيء « اخوة حناجر » . ويا لتعسى من يؤخذ بهذا النفاق « الاخوي » ! بل ما اكذبنا عندما نتبجح « بالاخوة العربية » في مؤتمراتنا التي تتغنى بهذه الاخوة الكاذبة ، تضليلا وايهاما . فما اسوأ حظك يا اخوة الخير ! !

وتأخذه الشفقة على جواد كريم يأتون به من بادية الحرية والحياة والفروسية ، الى الاصطبل في سباق الخيل ، يمتهنون كرامته ويتجرون به ، ويحتالون على الالوف من هواة السباق الاغراء ، فيأتينا بقصة « زرد الريح » .

وتحزنه تلك العقلية الصماء التي تعيش « بلا عقل ، ولكنها لا تستطيع العيش بلا طبل ولا رعد ودوي مفجوع » . ويأسف على الثروات التي نهدرها خرافا في الاعياد والمظاهرات على غير طائل ، عندما تتقيأ المسدسات الوف الطلقات وتتروع الآذان بدوي المتفجرات والمفرقعات ، يطلقونها دون جدوى – في ميادين لا اثر فيها للشجاعة او البطولة ، او الوطنية ، وعندما تتفجر الصواريخ في الفضاء مجلجلة مدوية ، دون ان يكون لها أي معنى من معاني الخير او الجمال او الانسانية .

نعم يحزن على هذه الثروات التي يبددها الجهل والتقاليد والعجرفة فيوشي قصته الجميلة « احلام شهرزاد » .

وتحز في نفسه تلك الهجرة التي سلبت البلاد اقوى عناصرها البشرية ، بما يزينه السماسرة للاهالي من النجاح والاثراء في الغربة ، فيكتب قصته اللطيفة « وراء كل خير » .

وماذا اعدد بعد هذا ؟

ان لرشاد دارغوث نظرة صائبة في ادوائنا الخلقية وامراضنا الاجتماعية ومفاسدنا الوطنية ، يتناولها بقلمه الهادىء القوي ويعالجها بأسلوب روائي شائق ماتع . وجماله في ذلك الانطلاق البديع البعيد ، وذلك التحرر من المؤثرات الخارجية ، انه يكتب لبني قومه ويقدم اليهم انتاجا وطنيا صرفا دون ان تشوب هذا الانتاج اية مادة اجنبية ؛ فترى امامك واقعنا بمحاسنه ومعايبه ، ومناقبه ومفاسده .

وقد يبدو في بعض المواقف الروائية فاترا ، ولكن مزاجه اللين الوادع يؤثر هذا الفتور الذي ترى فيه رصانة وصراحة وصدقا .

ويندر ان تلقى في اقاصيصه تلك المواقف العاطفية العنيفة الجارفة التي تهز الجوارح سلبا وايجابا . كما انه لا يجنح الى الخيال ، وإن فعل لابتعد عن الواقع . والواقعية في القصة والرواية عنصر رئيسي ثمين .

وآية القول انك تلمح في رشاد دارغوث ذلك المؤلف الذي يرسل قصصه على سجيته وفطرته ، ببساطة انيقة بعيدة عن التكلف والتصنع . نعم انك تلمح البساطة النيرة المنبثقة من قلب متدفق بالخير والجمال .

انه قلب من لبنان زاخر سافر ... ووتر من العروبة نابض عامر ...

نزيل حمص – سوريا **نظير زيتون**



العمل

بقلم بدر نشأت

من رابطة النهر الخالد



لا زلت عاطلا ، وقد مر شهران ستون يوما وانا اتلكأ على الارصفة ، واجوب الشوارع مفتشا عن عمل ، ومع انني زاولت مهنا كثيرة ، عملت سائقا وعملت برادا ، واشتغلت في مطبعة ، وفي تصليح السيارات وتركيب ادوات الكهرباء ... الا انني لم أجد عملا ... أي عمل ...

تعددت الاماكن التي قصدتها والابواب التي طرقتها ، ومع ذلك لم اوفق :

ـ مفيش .. متأسفين ... لو كنت جيت بدري .. مش محتاجين عمال .

لم يبق امامي الا ان اذهب الى امبابه ، فهناك مصنع نسيج كبير قد يكون في حاجة الى سائقين فلا بد ان تكون لديه سيارات تنقل الاقمشة والقطن او سيارات تنقل العمال الى المدينة وتحضرهم في الصباح الى المصنع ...

انه لمن المؤلم ان يكون الانسان عاطلا ، فان التعطل يملأ النفس بالصدأ كما تصدأ الآلة ان توقفت عن الحركة ، لا بد للفرد ان يقوم بأي عمل يشغل به نفسه ويحرك فيه اعضاءه فيحس انه انسان ذو قيمة قادر على فعل شيء ما .

ستون يوما والفراغ يتمدد في نفسي والركود يستبد باحساسي ، والافكار الكئيبة تتخبط في جدران عقلي كالخفافيش ... غريبة ... مخيفة هي الافكار التي تجول بالخاطر حين يكون المرء عاطلا ... جائعا وضالا ...

بالامس ... كنت في شارع فؤاد ، اخترق طريقي دون وجهة وامر بين الاف المارين على الارصفة والمتسكعين امام واجهات المحال والداخلين للفرجة والخارجين بالمشتروات ، ولفتت نظري العربات الفاخرة المتراصة على جانبي الطريق ، وجذب انتباهي عددها الكبير والوانها الزاهية فبدت لي كأوراق نقد مكدسة في اكوام ، وكل كوم منها يمتلكه فرد واحد ، ثم انتقلت نظراتي الى متابعة العربات المسرعة الذاهبة والاخرى القادمة .. كان الشارع يموج بالحركة والزحام كخلية نحل ...

وقفت ارقب حركة الطريق وارى الشمس وهي تستند بشعاعاتها فوق القاهرة وتلمع على زجاج المحال وفوق اسفلت الطريق وعلى ملابس السيدات الملونة وفي شعورهن ... كان الناس يسيرون ويصخبون ، وانا امر بينهم واشق سبيلي وسطهم واحس انني ضئيل تعس الهيئة حقير الثياب ... ولست ادري لماذا بدات اقارن بين مظهري ومظهرهم ، وقد طغى علي شعور عميق بانني لست منهم ، وانهم لا يمكن ان يكونوا مثلي ، فقد كانوا نظافا لامعين يشعون ترفا وصحة ، واخذ ينبش في نفسي احساس حاد بان اختفي من وسطهم والوذ بالطرق الجانبية ، وبلغ بي الشعور بالضآلة الى الحد الذي بت اعتقد فيه انني مهما ارتديت من ثياب او امتلكت من نقود فلن ابدو مثلهم ، ولن اكون منهم .

ثم ابتدات تطفو على سطح عقلي فكرة اخرى غريبة .. كل هؤلاء الافراد ... المتسكعين منهم ، والمسرعين والضاحكين والعابسين ... لماذا لا يحدثون بعضهم ؟ ولماذا ينفرد كل منهم بافكاره ومشكله ؟.. غريب امر هؤلاء الناس !! نراهم متزاحمين متلاصقين وكل منهم في عالم خاص ، غريق في احاسيسه ، مشغول بنفسه .

لماذا لا يتحدثون معي مثلا واتحدث معهم ؟ فيعرفون مشاكلي واعرف مشاكلهم ... قد اساعدهم وقد يساعدوني .. ان ذلك الشاب الاصلع الراس الذي يضع يديه في جيوبه ويدوس الارض في نشاط وثقة لا ينظر الي بل لا يحس بوجودي ولا يعلم انني عاطل ... وهذا الكهل الذي يضع جريدة تحت ابطه لا يعرف انني مفلس ولم اتناول طعاما الى الان ...

هل لا استطيع ان الفت انظار الناس الا اذا اتيت حدثا شاذا ، او ارتكبت جريمة ؟ ... لا شك انني لو خطفت حقيبة هذه السيدة التي تسير متأنية متهادية وانطلقت بكل سرعتي ، ستشرأب خلفي الاعناق وتعلو من ورائي الصيحات ، وتتعلق بي الانظار ويتحدث عني الجميع ..

ولو اندفعت نحو هذه السيارة الصغيرة الواقفة الى جنب الرصيف ، وادرت محركها وانطلقت بها على آخر قوتها ، ستسري الفوضى في الطريق ... يقفز العابرون الى الارصفة وتلتصق النساء بازواجهن ويتعلق الاطفال بارجل امهاتهم ، وتختل حركة المرور وتنسكب على العيون ويتحدث عني الناس ...

اجل ... بهذه العربة الصغيرة ، وان كنت لن استطيع ان اندفع بها بالسرعة التي تلفت كل الانظار فالعربة صغيرة قديمة ... رينو طراز ١٩٤٠ ... اربعة سلندر فقط .. اما تلك العربة التي بعدها فهي دودج أقوى

وأسرع ، وتلك البعيدة فورد كبيرة ضخمة ، لقد اشتغلت فترة على سيارة من هذا النوع حين كنت اخدم المسيو موستاكي المهندس ، وكانت تحرق بنزينا كثيرا ..

اما هذه العربة المستطيلة الفاخرة التي يهدىء صاحبها من سرعتها ، ويحاول ان يجد لها مكانا فارغا بين العربات الواقفة الى جوار الرصيف ، فهي اسرع الجميع ، انها الكاديلاك أفخر انواع السيارات وان بدا صاحبها غير مجيد للقيادة ، فقد ظل يندفع بها الى الامام ويرتد بها الى الخلف ، ولا يفلح في ان يدخل بها في المكان الفارغ بين السيارات مع ان المكان يسع عربته في يسر .

ووقفت ارقب الرجل واتتبع محاولاته ... كان رجلا مسنا يضع على وجهه عوينات ذهبية ويلف عجلة القيادة بين يديه في حركات عصبية وقد تعالت من خلفه ابواق السيارات التي سد عليها الطريق ... كان ينظر الى الخلف قلقا ويعود الى عجلة القيادة مرتبكا ... لو رآني ... وطلب مني ان اقودها الى جوار الرصيف فسأسرع الى تلبية طلبه ، فقد يكافئني ببعض النقود او قد يعرض علي عملا ..

ولكن ما ادراه انني سائق وانني في نفس الوقت عاطل ؟...

ربما تقف منه السيارة في اي لحظة ، ويطرا عليها خلل مفاجىء ، فاتقدم اليه وابحث عن مكان الخلل واصلحه ، فيبتسم لي ويشكرني ويعجب بمقدرتي ويقول لي :

ــ يا سلام !.. قوام كده صلحتها ... انت خبير في السيارات ... يا ترى تعرف تسوق كويس ؟

فاقول وانا ازيل الشحم عن يدي :

ــ امال ... دانا اشتغلت خمس سنين سواق ... كنت سواق مدير مصلحة التموين ... وسواق الخواجا موسة ...

فيقاطعني الرجل في دهشة :

ــ ياه ... انت اشتغلت عند الهامي بك ... مدير التموين ... دا صديقي ... ثم يضيف في بساطة :

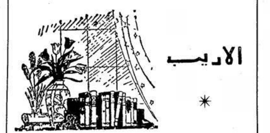
ــ تحب تشتغل عندي ... انا عايز سواق يكون شاطر زيك ... اديلك عشرة جنيه في الشهر .

ولكن الرجل لم ينظر الي ولم يرني ، ونجح اخيرا في الدخول بسيارته بين السيارات الاخرى ثم اغلق بابها واسرع يجتاز الرصيف ويغيب في مدخل العمارة القريبة .

وظلت عيناي ترقبان الرجل في حسرة ... توقعت ان ينظر خلفه ، وان يراني ... فقد اخترته سيدا لي ولكنه ابى ان يكون ...

ومع انني كنت اعرف ان ما جال بخاطري لا يعدو ان يكون وهما لن يتحقق ولكني ظللت فترة طويلة متضايقا متألما ...

اما اليوم فان نفسي تزخر بأمل كبير وانا اجد السير الى امبابه ، وعقلي يعمل في استحضار الكلمات المناسبة التي تشرح احتياجي الشديد الى العمل بأي اجر .



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩ — Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

سكرتير التحرير : **الدكتور محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

اقتربت من كوبري ابو العلا واقبل الترام محدثـا صخبا حادا وتعاقبت عرباته وضحت عجلاته تحت ثقل الكتل البشرية المكدسة فيها ثم مر بي فلاح يسوق حمارا عليه سلتان تطل منهما الخضراوات ... كان من الواضح انه قادم من امبابه في رحلة الرزق اليومي ... وانـه سيظل يجوب الطرقات ويلف الاحياء ويظل ينادي على الخضراوات ليكتسب في آخـر اليوم بعض القروش . ووجدتني اتابعه بعيني وقد ربطني به احساس مبهـم غريب خلت انه سيدفعني الى ان اناديه لاصافحه ... او اربت على كتفه ...

وعلى كوبري ابو العلا كانت الاعمدة الحديدية ضخمة شامخة ... ومضيت اسير وانا امر بيدي عـلى سوره الحديدي البارد الذي لم يسخن من حرارة الشمس بعد واطل على النهر العظيم واحدق فيه وافهم من اصطخاب مياهه البنية امام بصري ان كل شيء في هذه الحياة له عمل حتى النيل ، فهو يجـري ويقضي عمره يجري لا يتوقف ابدا حتى لا تشربه الارض ويموت فحياته وبقاؤه في حركته وفي عدوه ... هكذا كل شيء في الحياة ... يجب ان يتحرك ... ان يعمل ليعيش ...

وفي الزمالك كنت اتطلع الى العمارات الشاهقـة والفيلات الانيقة والشوارع الهادئة اللامعة التي تظللهـا الاشجار ويخيم عليها سكون ثري مهيب ..

حي هادىء انيق ــ وطرقات نظيفة خالية لا تكاد العين تلمح فيها الاخادما على دراجة يكدح بقدميه عائدا مـن السوق او عربة ممتدة تمرق في هدوء وبداخلهـا سيد مضجع ...

وعلى الرصيف الاخر من الطريق كانت فتاة رشيقة قلقة تسرع الخطو وتتعقبها سيارة صغـيرة بها شابان احدهما يطل براسه من النافذة من وقت لاخر ويدعـو الفتاة الى الركوب ...

وعند منعطف الطريق قرات على احد الجدران ... تسقط انجلترا الغاشمة ... مكتوبة بخط رديء بالطباشير والى جوارها ورقة اعلان عريضة ملصقة في مكان واضح بها كتابة انيقة تحث على انتخاب محمد بك الحديدي مرشح حزب الوفد ... نصير العمال ... وصديق الفلاح ...

اقتربت من الكوبري الاخر ... كوبري الزمالك الذي ترقد تحت اقدامه امبابه على الضفة الاخرى من النيل ، ووقفت اطالع حي العمال الفقير ... منازل بائسة قديمة تربض في مذلة ولا يفصلها عن الزمالك سوى مسافة لا تزيد عن الخمسين مترا هي طول الكوبري الممتد فوق المياه.

لقد مررت فوق هـذا الكوبري بالليل منذ شهور وكانت المصابيح تتابع وتشع في الظلمة وتنزلق انوارهـا فوق الاسفلت اللامع وتسيل على الجانبين الى المياه .

وبدات اسال نفسي ... لماذا لم اكن مصباحا ؟ .. اشتغل بالليل وانير الظلمات ... لقد عملت فترة مـن حياتي بالليل ، كنت اشتغل ثلاث ليال من كل اسبوع في ورشة للطباعة وانام بالنهار ... كانت اياما جميلة ...

نزلت الى امبابه وسألت عن المصنع ، كان بناية كبيرة ضخمة باسوار عالية يرتفع من خلفها ضجيج الآلات المستمر.

وقد قال لي موظف هناك انهم لا يطلبون عمالا ، وان عدد السائقين عندهم يزيد عن الحاجة ، فعدت اخترق الازقة الموحلة الضيقة والشوارع القصيرة الملتوية واهش الذباب عن وجهي حتى خلفت امبابة ورائي وعبرت كوبري الزمـالك .

لم اكن ادري الى اين اتجه ... كنت متعبا جائعا ، فرايت ان استريح بعض الوقت في المنتزه الصغير بجوار الكوبري ...

وكان المنتزه غاصا بالخادمات والاطفـال ، فانتقيت لنفسي مكانا هادئا تحت احدى الاشجار وتوسدت ذراعي واضجعت فوق الاعشاب ...

كانت الاعشاب خضراء نضرة ، والاطفال يلعبـون ويضحكون والهواء طلق منعش ، ومرت الى جواري خادمة تدفع امامها عربة صغيرة فيها طفل ، فقلت لنفسي ان صناعة عربات الاطفال صناعة مربحة وان امتلكت نقودا افتح مصنعا لانتاج هذه العربات الجميلة ..

وبالقرب مني في المشى الصغير المفروش بالرمال ، كانت الشمس تشع على ورقة مفضضة من النوع الـذي يستعمل في تغليف الحلويات فمضيت اطيل النظر اليهـا في الفة ومحبة فقد كانت كحياتي تماما مطبقة .. ملقاة.. تشع تحت الشمس دون هدف ...

وانتقلت نظراتي بعدها الى علبـة ثقاب فارغة ، فمددت يدي والتقطها ومضيت اقلبها بين اصابعي كانت على غلافها صورة ساق امراة في اعلان عن جوارب من مصنوعات الشوربجي ، فعدت اقول ان صناعة الجوارب صناعة مربحة ايضا وكذلك صناعة الثقاب ... ولكن اين هي النقود ؟.. انني لو امتلكـت نقودا ، لكان اول مـا افعل ان الوذ باقرب بقال ابتاع منه طعاما ..

واعتدلت في رقدتي ، وسرعان ما احسست بالتعب يتداح في جسدي ورحت في نوم عميق أفقت منه عـلى صوت حارس المنتزه وهو يوقظني ويطلب مني مغـادرة الحديقة ، فقد اقبل الليل ..

ونظرت حوالي ... كانت الشمس تختفي كما تفعل كل يوم ، والنور ينطفىء ، والدنيـا تغيم فقمت افرك عيني ... وغادرت المنتزه متعبـا متهافت القوى ... وابتدات اسحب قدمي عائدا الى قلب المدينة ...

كما تركتها ولا شيء جديد سوى انني جائع ..

ولا زلت عاطلا ...

وقد مر شهران ...

ويوم ...

القاهرة — بدر نشات

الطيور المهاجرة

✳

منهارة تطيرُ لمأمل عسيرْ
صغيرة سوداء في مسارح الاثير
طعامها رجاؤها ووكرها الهجير
جناحها مهدم وصبرها ضرير
سحابة لهيفة مجهولة المصير
يساقط العياء من مطيرها الكبير
قبرة شهيدة كفرخها الصغير
رعوشة المنقار في احتضارها المرير
تخلفت والسرب في اصراره يطير
ورفرفت على الثرى في نزعها الاخير

★★★

يا سرب يا جراحْ مضت على جناحْ
كم بلدة عبرت في ملاحم الرواح
ورفقة تمزقوا على يد الرياح
يا راكب الظلام والضباب والصباح
أعودة لوكرك المغرد المراح
أغنودة دفينة سعيدة تتاح
هناك .. في رياضك الغنية الفساح
هناك .. حيث ينبت الجمال في البطاح
وتسبح النجوم في مياهك السماح
وتسمع اللحون من وكورك الصباح
أعودة تنسيك ما لقيت من كفاح

القاهرة

كمال نشات
من رابطة النهر الخالد

بقلم هنري ودانا توماس

شعراء خالدون: وليم وردزورث

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

انحدر وليم وردزورث [١٧٧٠ ــ ١٨٥٠] من اسرة كانت قد استقرت في انكلترا قبل الفتح النورماني . قدمه ، على هذا مزيج من دم (النورسيين) و (الفاريكنفيين) . وهذا ما جعله يتسم بجد العروق الشمالية ، وعنادها الصبور ، وتقشفها الشديد ، وهذه هي الصفات الرئيسية التي امتازت بها هذه الشعوب . وقبل كل شيء حاز على كبرياء غريزية ، عرفت في تلك الكرامة الجليلة التي عزاها لنفسه باعتباره كائنا انسانيا . قضى معظم اوقات صباه في التجوال على الجبال والتجذيف على البحيرات ، ولما بلغ اشده ، الف الآفاق الواسعة التي كانت تنتشر على مد البصر في ريف كمبرلاند مما جعله ينمي في نفسه عزة رجولية ، وحرية ، وثورة على كل جور من اي نوع كان .

كان شابا قوي البنية ، صلب الرأي ، حين ترك (كمبرلاند) من اجل دراسته الجامعية في كيمبردج . ذلك بانه تمرس بمختلف انواع الرياضة العنيفة ، ومنها انه تعلق مرة براس صخرة شامخة ، بحثا عن عش غراب ، وكاد الموت غرقا يجتذبه في احد الانهار « الا انه اصر على رفع راسه المربع على سطح الماء » ثم انه قاد زورقه يوما في واد مليء بالماء ، حتى انتابه الدوار ، فظن ان الجبال تسرع مقتفية اثره . وفي احدى جولاته في اراضي كمبرلاند ، شاهد مشنقة كانت معدة لصلب القتلة في ماضي الزمن . ومن اجل ذلك كله ، كانت تربيته المبكرة على صلة وثيقة من المعرفة بعظمة الطبيعة المرعبة .

وايا ما كان الحال ، فان عبقريته عانت فترة من الانحلال الظاهري ، بتأثير العزلة الاكاديمية في كليته الا ان هذا الانحلال يشبه بذرة زرعت قبل « ان تحيا عشبا وازهارا » . ترى ذلك في شعره الذي نظمه في كيمبردج ، ففي هذا الشعر تفاهة ووهن . فبدا سير حياته كأنه اتخذ شكلا اعتياديا دائميا . ولكن شيئا مدهشا طرأ عليه .

***

سافر يوما الى باريس ،وهناك امسكت به دوامة الثورة . طلب منه عمه بالحاح ان يدرس من اجل الكهنوت . ويعود سبب ذلك الى فقدان والديه في طفولته . الا ان ورد زورث ثار على ذلك ، وقرر شيئا آخر . وعندما تسلم درجته العلمية ابحر الى فرنسا ، ليدرس اللغة ، حتى يحظى بنيل مركز كملازم لاحد النبلاء ، في الوقت الذي يعد نفسه لمزاولة مهنة الصحافة .

ظل في فرنسا ستة عشر شهرا ، وهي تلك المرحلة التي بدا فيها العالم برمته كأنه انقلب راسا على عقب . خلع لويس السادس عشر من العرش . وتحول المجتمع الى وحل الفوضى . وبعد سقوط دستور (القيود والاصفاد) حلت محله « حرية الفوضى » وعاد الناس الى البربرية البدائية . وفي هذا الجو الناخر ، الذي عرف به (عهد الارهاب) اقبل الى فرنسا شاب شاعر يمت بصلة الوراثة الى التجار والملاكين الانكليز . ان اذنه المرهفة لم تسمع شيئا اكثر نشازا من نعيق البوم في الغابات . والى حد الآن لم يقابل طبيعة الانسان ، بل كل ما رآه هو هذه الوجوه المتغيرة على سيماء الطبيعة . وبتشوق شاب غير مجرب ، سر كثيرا بالتمتع بهذه التجربة الجديدة . ففي اورليانس لقي ضابطا جمهوريا ، شغله بالتفكير الحر ، وبفلسفة كودون وبين وروسو . فاصبح وردزورث رسولا متحمسا « للنظام الجديد » في فرنسا . ثم غدا تلميذا مخلصا لفينوس ، ذلك بانه لقي شابة فرنسية في اورليانس كانت تدعى آنيت فايون ، امتازت باستعدادها لكي تجعله يبادر في الاطلاع على اسرار هذه الالهة الوثنية، الهة الحب. وفي اول الامر ، لم تكن آنيت غير معلمته الفرنسية ، ثم اصبحت خليلته ، وفي الختام ام طفله .

وهكذا وجد نفسه محملا بمسؤولية خطيرة من غير ان يتوقع ذلك ، عاد وردزورث الى انكلترا وفي نيته نيل مرتبة تدر عليه بالمال لاستدعاء آنيت . ولم يكن ليعرف بان فرنسا وانكلترا ستشتبكان في حرب خلال اسابيع قلائل . وحين نشبت الحرب ، عذبته فكرة بقائه منفصلا عن خليلته وطفله . ولكن كلما مرت الاعوام تلطفت لوعة العاشق تدريجا ، حتى استحالت الى خيال شاعر . ومن هذا العذاب الشخصي تعلم كيف يستلهم ميزات فنه الشاملة . ثم تبلورت عاطفته فغدت شعورا هادئا ، استمد الماضي ، وهذا الشعور نفسه تحول الى قداسة هيكل بناه على غبار التجربة الرقيقة المظللة بندى الحساسية البطيئة .

كانت آنيت ميتة بالنسبة اليه ، انها الآن لا تمثل عاطفة فردية ، ولا قوة شخصية ، ولا ذكريات لاهبة . لقد

اصبحت مطية بجميع العناصر « التي تدور حول الارض في مسراها الليلي ، بصخورها واحجارها ، واشجارها » . وما اقبلت سنة ١٨٠٢ حتى تزوج شابة انكليزية تدعى ماري هيجيسون . وقبل الزواج بمدة وجيزة ، زار فرنسا زيارة اخيرة ، فلقي طفله المجهول ، بكل ادب وبرودة ، كما واجه المرأة التي اوحت اليه بعاطفة الرجولة والشاعرية . وهناك في فرنسا ، ظل موضع انبثاق قوته الشاعرية . اذ انه قرأ بين ذراعي آنيت اول المقاطع في ملحمة حياته السرية . فالحياة طاقة تمارس في الالم وتترجم الى الفن .

***

وفي خلال الايام القلقة التي سبقت زواجه ، استنصر اخته ، دوروتي ، طلبا للخلاص . وهذه شابة جدية ذات حس مرهف ، كانت موهوبة بقسط غير يسير من عبقريته . و « بمحبتها وعطفها وعنايتها اليومية » ساعدته على العودة الى صحة عقلية سليمة . وبرفقتهـا بدأ يحيا « حياتـه الثانية » لقد استقرا في « ريسداون » «بدور سيتشاير » على بعد سبعة اميال من القنال . وهناك حصلا على منزل مجانا ، بفضل سخاء احد الاصدقاء ، ثم لقيا ثالوثا من الارواح الادبية المحبوبة هم ـ تشارلس لام ، كاتب المقالات اللطيف ؛ ووليم هازلت ، الناقد اللاذع ؛ وصاموئيل تايلور كوليردج ، الشاعر الحائر .

تطورت الصلة الادبية بين وردزورث وكوليردج الى صداقة متينة . ومن اجل ذلك ترك وردزورث منزله في دورسيتشاير ، وانتقل الى (اولفوكسون) كي يكون على مقربة بالروح والجسد من « ناسج الاشعار الساحر » وهذا ما جعله يقول مع شيللي في استدعائه لعبقرية كوليردج الرفيعة الشأن « علميني نصف السعادة التي يحملهـا ذهنك .. » الا ان كوليردج كان ناقـدا اكثر منه معلمـا لوردزورث . شوكة رنانة تهز المشاعر المتيقظة التي امتاز بها زميله الشاعر .

ذلك بان وردزورث لم يعد تلميذا في مدرسة الغناء ، فبعد ان زار سواحل كثيرة من اجل الحقيقة ، عاد الآن ليجد الحقيقة في بلده نفسـه ، في مشاهد طفولته ، التي برزت في سفوح التلال والانهار والغابات . وهنا فـي انكلترا ؛ كما في اي مكان آخر ، تكمن الحقيقة ، بانتظار من يكشف عنها النقاب لكل ذي عينين باصرتين ـ ليس من خلال « أعمال الانسان الذليلة الخشنة » بل خلال «العواطف التي تنبت روحنا الانسانية .. بما فيها من اهداف سامية واشياء خالدة » .

فالحقيقة محفورة في اوراق الاشجار ، والازهار ، وصخور الجبال الناتئة ؛ وفـي هـذه الصخـور تجـد الهيروغليفيه القديمة وقد نقشتها اقلام التلاجات الازلية ، ثم ما لك ، الا تنظر الى الجزائر في البحار والكواكب فـي السموات . انها مكتوبة على كل صفحة في كتاب الطبيعة الذي لا ينتهي عند حد ، وكل المناظر في الطبيعة حروف في « ابجدية » الملحمة الخالـدة التي نظمهـا « الشـاعر العظيم » . وما عواطف الانسان الا تلك الالحان الايقاعية ، التي يتمثلها كل واحد من البشر في اسلوبه الاعمى الفردي، حتى يستطيع المعنى المقصود في هذه الملحمة العظيمة . قدم وردزورث الى كوليردج ، بهذه الفلسفة التي تعلمهـا جيدا . ان عاطفته حيال آنيت علمته قيمة الحب . ثم انسجمت عواطفه تدريجا في اتساق ذهنه . اما حواسه فلم تكن اقل ارهافا من قبل . فالنيران لم تزل تستعر في عينيه ، وعلى انفه الاقنى وفمه الشهواني .

ولكن شهوته تحولت الى عطش ذهني ـ اعني تجربة الاثارات « المعاد جمعها في هدوء » بعد تصفيتها بمصفاة العقل ومسها بنار الكلمات الحية . وبذا غدا في الجوهر « انسانا باطنيا ذا قوة اخلاقية ، وعقلية ، ومسرة نفسانية ، في اوسع المعاني » ، يحافظ ذهنه على عصمته في عزلته الانفرادية ، لا يخضع لشيء غير الضمير ، والقانون الاسمى ، قانون « العناية » الذي يسيطر على كل شيء ـ وهـذه الاشياء جميعا كانت مثار غنائه .

عانى وردزورث تغييرا عميقـا في معنـى السمـو ، فتطهر عاطفيا ، واهتدى دينيا ، كان هذا الاحياء فرديا شخصيا ، كذلك الحدث الذى يجري بالنسبة الى قديس او نبي يجد الله في القفر فجأة . وجد وردزورث الله في المناطق المجاورة للبحيرات في انكلترا . ومما قاله بهـذا الشأن « ان من يعيش في الريف الانكليزي يسمه النظر على مياه البحيرة البراقة ، ويشعر بخياله وقد حمل الى خلوات من الاحساس لا يمكن اختراقها بغير ذلـك مـن الوسائل » .

ان السموات نفسها تنحدر الى هذه الاعماق ، فيمعن العالم بصره في هذا المنظر بضياء جديد من خلال هـذه الواسطة المصفاة . « فلا يسعك ان تسمع رفيف نسمة ، ولا حركة حشرة ، ولا اي شيء متحرك » ما عدا الغيوم المتزلجة في اعماق الماء ، وما عدا مسافر طارق ينعكس ظله في هذه المياه . وحركة هذا المنظر المنعكس نفسه « تبدو طوع اشارة » عالم « هادىء » لا موضع فيه للزمان ولا للمكان . وقد يحدث ان يجتاز الافق مالك الحزين « في صمت بين الاعماق » في حين يتيقظ صوت الطائر الحقيقي، من على البحيرة ليظهر في المنظر « غير ان مجموعة الشهوات والغرائز والاعمـال والتشبثات التي تشوه عالم الرجـال وتهزه » ليست لها من الحول ما يمكنها من تكدير صفاء الطبيعة . ومنظار الطبيعة هذا ، الذي يعين العالم علـى رؤية اساريره الحقيقية ، والذي امسك به الشاعر ، فـي لحظة توقف فيها الزمن عن المسير ، وفي نقاء لم تثره نسمة من الريح ، هذا المنظر بالذات هو حالة الشاعر الذهنية ، التي اصطاد فيها اشعة العالم المثالي الساكن « في ضياء الشموس الغاربة » تلك الشموس التي حولها الشاعر الى

صورة الخلود لكي يشاهدها جميع الناس .

وقد قال بهذا الصدد « اهدىء يا قلبي كي ارى سموات الخليل (1) » ذلك بان تموجات الضوضاء الروحية التي تغضن في اغلب الاحيان ، صفاء الروح الانسانية ، هذه التموجات يعيدها الشاعر الى الهدوء، بايمانه الخاص. فالباصرة الصافية لا ينبغي لها ان تخدع بالغضون الوقتية ، بل يجب عليها ان تحفظ في الذهن الوحدة الاساسية التي تكمن تحت التناقض الظاهري للاشياء . ان العالم واحد ، وهو يبدو محطم الاوصال في قطع متنافرة لان الرياح تربك سطح البحيرة التي تنعكس فيها الاشياء . يقول وردزورث ــ دعنا نتعلم رؤية الاجزاء ، لا كأجزاء بل بشعور بالوحدة والانسجام . « فالجلبة والسلام والضياء والظلام ، كلها اعمال ذهن واحد ، وسحنات الوجه نفسه » ــ وجه الانسانية التي هي صورة وجه الله غير الكاملة .

***

وفي الغوكسون ،عزم وردزورث بالاتفاق مع كوليردج على اصدار مجموعة من الاشعار لتمثل « وحدة الشعور العميق والفكر الشديد الغور » ناهض وردزورث بصورة غريزية تقاليد بوب ودرايدن ، اللذين اضفيا رداء متباهيا على الهة الموسيقى ، « رداء من التزويق والعتب الكلامي الفارغ » . وهكذا ان في قدرته الشاعرية بيان الجمال في ذاته ، من غير اللجوء الى تزويقات الاساليب اللغوية . انه لن يعالج ملوك « الرومانس » ولكنه سيهتم بمجد الاشياء الاعتيادية ، اي انه سيعالج شؤون شعبه الريفي الساكن على حوافي البحيرات . « فالشعر لا يذرف دموعا كما تفعل الملائكة ، بل انما يذرف دموعا انسانية ، ومن اجل ذلك فهو لا يباهي بالسموات العلى » .

والشاعر ليس الا « رجلا يتحدث الى الناس » . وهو انسان وهب باحساس اشد ارهافا من الناس الاعتياديين وهو لا يفرق في شيء عن الناس الآخرين ، الا في معرفته للطبيعة الانسانية ، وعلى هذا فهو يبكي ويحب ويصمم ويعمل ويصلي ويأمل كما يفعل الناس الآخرون . وهذا ما سيريه في شعره . انه سينشد اغاني العطف واللطف التي تخفف من الآلام وتنقذ من الاوجاع ، وتنعم بالافراح «كأنها اوراد متناثرة على اقدام الناس » وهو سيحتفل بالوجود المزكي بالالم ، والايمان الذي ينظر الى الموت ، والقوة التي تظل بعد المسرات الماضيات « والغمائم التي تتجمع حول الشمس الغاربة » . وفوق كل شيء ، انه عزم على ان يتحدث الى الشعب الريفي البسيط ، الذين كانت افكارهم تتجاوز « كلماتهم الانكليزية القليلة » .

كانوا جميعا شخصيات معروفة ، الابطال والبطلات في الاغاني الساذجة نفسها . ففي كل قرية انكليزية يمكنك ان تجد رجالا ونساء تركن منبذوات من قبل الشعراء القدامى ، من امثال سيمون لي الذي بقي في الحياة بعد عشرة مسرورة ، بقي وحيدا لا صديق له الآن ، وقد تناثرت احلامه وآماله ، بنات من امثال زث ، خانها الاحباء والشباب فمخروا في البحر وتركوها ، جوني المجنون الذي يستفيء بضوءالقمر ، تحت النجوم الفضية ، والفتاة العابثة اللطيفة في اعالي الجبال ، التي تملأ الوادي باغانيها العذاب ، والام مارغريت التي لم تتسلم رسالة من ابنها الوحيد منذ سبع سنوات . « وهذه هي الحقيقة ، لقد بكيت كثيرا فرطبت طريقي بدموعي بمثل الندى ، ثم حزنت لاجله ، في حين لم يعرف احد بذلك » ما اجمل الثروة التي يمكن العثور عليها في حياة الفقراء ! فاحسن القصص لم تكتب بعد . هي اكثر القصص سذاجة ، لانها تعالج حياة الشعب الساذج .

« يا قارئي ، هل يسع ذهنك ان تجلب فكرا صامتا كهذا » .

« يا قارئي العزيز ، انك ستجد ما يحلو لك في كل شيء يعجبك » .

نظر وردزورث في ذهن الانسان ، « وهذا كان سحر ذهنه ومكان غنائه » فوجد مفكرو العهد العلمي ، والرجال والنساء الذين استخفوا الافكار الدينية القديمة، والسخافات البائرة الشائنة ، اقول: وجدوا في وردزورث مرهما لمرضهم الذهني ، فعند وردزورث الذكاء لتقديره والاحترام لاجلاله . هنا كانت ديانة الروح الحقيقية ــ فكرة « خالدة » اخصبها بها النفس الخالدة ، فقدمت للاشكال والصور « حركتها الابدية » . هنا بموسيقى ايشعيا البسيطة تكلم نبي آخر ، من انبياء مصير الانسانية المشترك ، تكلم هذا النبي على « الامل الذي لن يموت » و « الاشياء التي ستجد » .

وكتاب وردزورث الحكايات الغنائية Lyrical Ballads يعد وثيقة من وثائق الثورة الاجتماعية . فتحت وقار الشاعر الهادىء ، تتلظى نيران التأثر القاسي القلب ، الذي وجد مرة « خيمة جوالة بين المناطق غير المحصنة » في الثورة الفرنسية . والآن ففي اللحظة الملائمة حين يقبل عقل الانسان قلبه ، خاطب مواطنيه الانكليز في لهجة رنانة، قائلا « نحن الذين نتحدث بلغة شكسبير ، وبايمان ملتون واخلاقه ينبغي لنا ان نعيش احرارا او نموت ! » .

***

انتقل وردزورث الى (غراسمير) في منطقة البحيرات وعاش هناك الى خاتمة حياته ، من غير ان تعوقه الا ايسر العوائق . ولكن « اللحظة الكاملة » من الهامه مضت بغير رجعة . ذلك بانه لما ادرك السابعة والثلاثين انقضت « الاعوام الذهبية » من موسم حصاده . لقد نال شهرته كممثل للافكار الحرة ، ولكن هذه السمعة كلما انتشرت وتقدمت تراجعت الافكار الحرة التي كان يحملها من قبل . ولما اتخذ لقب امير الشعراء ، « اصبح اكثر المغنين الانكليز تقليدا » لقد انسحب الى احضان الطبيعة ، ففقد الاتصال بحقائق الحياة . لان الجو الرومانسي جو البحيرات والجبال

(1) هي منطقة الخليل في فلسطين

وحياته الرضية الهانئة وازدياد ما قوبل به من التكريم والتشريف هـذه الاشيـاء كلهـا جمدت مشـاعره ، واطفت حماسته ، فاصبح نفسه جبلا ، تسنده صخور عميقة الغور ، وتسحق قمته على الغيوم ، فلا يسمعه سماع صراخ البشر « الميتين » الذين يكدحون في الوديان السفلى .

ومن هنا فان شيئا واحدا يصيب مقتلا من الالهام ، اكثر من الخيبة التامة – ولا يتجلى هذا الشيء تجليه في النصر الكامل . ومن اكثر الفصول أسى في تاريخ الادب هو انهيار الفنانين الذين بدأوا حياتهم بشعلة الثورة ، ثم انهوها في رمـاد الاستكانة والتخـاذل . بردت حميـة وردزورث الجمهورية ، من سنين مبكرة ، خلال مغـالاة الثورة الفرنسية ، في اعمالها ، فطالب المتطرفين بتخفيف الحدة قائلا « اين ستنتهي اعمالكم ، حين بدأتم بنموذج من هذا النوع ؟ » وكلما تقدمت به السن ، لام حماقـة شبابه – وبخاصة اتصاله السريع بآنيت ، مما جعله على وفاق مع « التردي العام الذي لازم ذلك العصر الثوري » . شكر لنفسه نسيانها لعواطف شبابه الفائرة ، وسر لان كل انسان غيره في انكلترا نساها ايضا . ومن حسن حظ « وقاره » انه امتلك نظرا بعيدا فدمر كل شاهد في رسائله واوراقه مما قد يشير الى تلك الحادثة غير « المحترمة » التي ربطته بالفتاة الفرنسية .

والواقع ، انه ليس من احد ، خارج نطاق اسرته ، يعرف شيئا عن هذه الحادثة ، وقد ظلت سرا طي الكتمان الى ان اكتشفها الادباء البحاثون في القرن العشرين ، وذلك بما قاموا به من جهود في حقول سيرته .

ولكن دعنا نعود الى قصتنا « فليس من عالم الاخلاقي اشد تزمتا من شرير اصلـح شانه » وهذا ينطبق عـلى وردزورث ، الذي غرق « في الاحساس بالشرف » . الى حد انه فقد حاسة الفكاهة . ومن اجل ذلك اصدر حكما شديدا على عادة الافيون التي مارسها صديقه كوليردج ، مما سبب انقطاع الصلة بينهما طوال الحياة . وحين تزوج دي كوينزي امرأة انجب منها عدة اولاد غير شرعيين ، وبهذه المناسبة دعا دي كوينزي وردزورث لزيارته ، تطلع الشاعر الى الحدود الاخلاقية ، فرفض الدعوة .

لقد اصبح رجعيا ليس في الاخلاق حسب بل في السياسة ايضا . ففي فجر حماسة شبابه ، اعلن عـن استنكاره « للحكومات الارستقراطية » ولكنه الآن انضم الى « المحافظين » في شجبهم لائحة لتوسيع التصويت العام . وفي ذات مرة رفع الانجيل تأييدا لحق الامـة الاسبانية في استقلالها ، والح على حكومته ، بكل وسعه ، مساعدتها في كفاحها للنابليونية . ولكنـه في سنواتـه المتأخرة ظل صامتا غير آبه لشيء ، حين نهض الشعب الاسباني للقضاء على جور حكومته . ولم يظهر اي اهتمام بما فعله الايطاليون في نهضتهم المجيدة ، لتحطيم نير النمسا اذن لقد مات الشاعر الحر ، شاعر الجيل القديم . ولم يبق منه غير شبحه الآن ليمشي على الارض . كتب روبرت براونتنغ – وهو احد الكتاب الاحرار من الجيل الجديد – كتب يقول بشأن « الرجل الذي باع روحه من اجل امارة الشعر في انكلترا » :

« تركنا من اجل حفنة من الفضة حسب ، ومن اجل شريط ليلصقه على سترته » .

كان « القائد التائه » من قواد القرن التاسع عشر ، جاوز عمره نار عبقريته ، وشعره في اواخر سنيه ، لم يكن غير (كاريكاتور) فنه السابق . ومن ذلك ان قلمه احيانا هوى الى « الجنون المطبق » وغالبا ما اثارت مشاعره شيئا اشبه ما يكون بالنفرة عند هـؤلاء الذيـن محضوه الحب سابقا . والامر كذلك حتى في بعض الاحيان ، عندما تمتزج اشعة التعبير اللطيف بمنظر ذهنه الشاعري ، فان الغيوم لا تلبث ان تتجمع سراعا ، فينحدر صمت قارس على مثل هذا المنظر ، كأن ذلك ليل داج هبط من غير دعوة .

ومع هذا فقد جنب اشد تعذيب في وسع الدهر ان ينزله على انسان كان يوما عظيما . فقد خاب في ادراك انحطاطه . وهذا ما جعله يحافظ على ايمانه بقواه العقلية الى النهاية ، ولم يكن له ادنى شك بنبله . يصفه كارليل في ايامه المتأخرة فيدعوه « احد المحاربين القدماء في ميدان الشعر » هذا المحارب الذي تكلم بكل جد على قضيتـه الخاصة « كأنه تاجر حكيم يتحدث عن بضائعه وحانوته – بحيث لا يقدر انسان غير حكيم ان يتصدى لما تصدى له » . رجل تكيف غير تكيف من اجل « كثير من الصمت وكثير من الكلمات » . شاعر عاش في عالم حيث لم يتمكن كائن من كان ان يتجاوز حدوده او يناقض نزوة من نزواته .

ومع انه كتب احسن شعره في شبابه ، فانه امضى سنيه المتأخرة في تنقيح مؤلفاته بصورة مستمرة ، كأنـه كان يمقت مفارقة افكاره الخالدة ، ثم وضع آخر صبغة على « المقدمة » – وهي قصيدة تعالج نمو ذهنه الشاعري – في حين ان معظم الناس ، في عمره – كانوا يستعدون لكتابة « خاتمة » حياتهم . ومن حين الى حين ، بينا كان يحوم على حصاد ذكرياته ، كانت الايام القديمة تعود اليه في لمح البرق ، ومرة اخرى يظفر بومضـة مـن الخمائل الدفينة في « ذهن الانسان الذي لا يغلب » .

وفي خريف عمره الطويل ، سقط اصدقاء واقارب ربيعه وصيفه واحدا اثر الآخر من شجرة الحياة كالاوراق المتعبة . ومع ذلك صمد في قيد الحياة من غير ان يمسه انحطاط جسمي . ومضيه الى غير هـذا العالـم ، في « الفصل اللطيف » في سنته الثمانين ، كان هادئا ككتابته . « تلاشى وجوده مثل الهواء » تاركا ذكرى اشعاره العطرة والكهوف المشتعلة من الضياء في عينيه .

« ذلك الضياء الذي لم يضع قدمه على البر او على البحر »
« لم يكن غير حلم الشاعر ، وتكريسه لمثله » .

العراق – بعقوبة
يوسف عبد المسيح ثروة



طلع الربيع وأنت غير مصاحبي يا حسرتا ألا أراك بجانبي
تحيين بي ميت الرغاب فتنثني كالطير منطلق الجناح رغائبي
ويضج بين اضالعي وهج الشباب فتسكبين عليه فيض سحائب
فيعود من سحر الحياة مروّيا ما جف من عودي بكف تجاربي
عادت دواعي الشوق تغزو مهجتي وتثير في الاعماق ذكرى الغائب
فتروح أعصابي تمزق بالاسى والحزن يعصف بالحطام الذاهب
يا ليتني لم أبن بين جوانحي للنازح المهجور معبد راهب
أو ليتني أقوى على رد الجوى واللاعج المشبوب بين جوانبي
ان تسبح النسمات في لجج الفضا والزهر يعبق بالشذى المتجاوب
أو تهزج الاطيار في ألق الضحى والعشب مخضل بطل ساكب
والنهر مستلق على قاع الربى نشوان من خمر الضياء الغارب
وتزاحم الاعطار في ساح المسا يذكى رمادا من حنين واصب
والقبة الزرقاء في عبق الدجى عذراء تهفو في مسوح رواهب
تتبلج القمراء في شرفاتها ريا المعاطف بالسنى المتواكب
مد الاصيل على مواقع خطوها درجا من النور الشفيف الذائب
فتخطرت ترقاه سامقة الذرى في كفها الريا نثار كواكب
وانهل بالعطر المؤرج فاغما كالنهر يستبق الضفاف لشارب
يتعجل الليل الخلى ليرتمي من عاشقي القمراء بين مواكب
ويعود للاسحار بعد صلاته للحب انفاسا لروح لاعب
واذا تفتحت الحياة وارسلت نفحاتها روحا لصدر الناصب
وارتدت الدنيا لديها طفلة تنساب بين مباهج وملاعب
والكون عاد الى صباه يزدهي بالمغنم المرموق عود محارب
فتن على فتن تخاتل أنفسا ولهى تحن الى هواها الغائب
تسنى عيون الكائنات وتستبي بالسحر واللطف الخفي السارب
ويلي وقد عاد الربيع وفي فمي نغم يئن وأنت لست مصاحبي
ويلي وقد عاد الربيع وفي دمي ينزو الحنين ولا أراك بجانبي

القاهرة — حسن فتح الباب

اقصوصة فلسطينية

انها يهودية !...

بقلم عيسى الناعوري

✳

عرفها في حانة صغيرة تقوم على الزاوية الشرقية التي يلتقي امامها شارع الملك جورج بالشـــارع المؤدي الى سينما اديسون ، وشارع منحنه يودا بشـــارع يافـا ؛ ففي تلك الحانـة الصغيرة في قلـب الاحيـــاء اليهودية من مدينة القدس كثيرا ما كان جمعه يمضـي اوقات فراغه مع بعض اصحابه الذين كانوا يتجمعون من قريته دير ياسين وقرية لفتا القريبة منها ، لاسيما حينما كان يخطر لهم ان يقضوا سهراتهم في احدى دور السينما القريبة ، فكانوا يقضون فترة الانتظار قبل موعد العرض في الحانة يشربون السيفون او البيرة المثلجة ، ويغازلون فتاة الحانة الجميلة .

ولم تكن العلاقات بين عامة الشعب العربي واليهـود حينذاك على شيء من السوء ، فكان اختلاط الشعبين في الشوارع والحانات ودور السينما شيئا مألوفا جدا ، فما يكاد يخلو ملهى يهودي من جماعات من الشبان العرب ـ القرويين وابناء المدن ـ يغـازلون الحسـان اليهوديـات ويتوددون اليهن . وفي لهوهم ذاك كانوا ينفقون المـال بسخاء ، ولا يفطنون الى انهم بذلك كانوا يقيمون دعائـم الكيان اليهودي في ارضهم لبنة لبنة .

وفي احد الاصائل كان جمعه يجلس وحده في الحانة الصغيرة وكانت الموائـد الخمس الصغيرات خاليـــة من الجلاس . فاغتنم جمعه فرصة خلاء المكان ووقف خلف خوان الحانة يمازح الفتاة اليهودية الجميلة ويغازلها ؛ فطلب قدح سيفون اولا ، فلما ملأته فريدا وقدمته اليه ابتسم لها وقال :

ـ هل تسمحين بان اشربه من يدك ؟

فانفرجت شفتا الفتاة عن شبـه ابتسـامة ملؤهـا الامتعاض والازدراء ، ثم اشاحت بوجهها عنه بغير جواب . فاعاد جمعه السؤال قائلا :

ـ ايسوؤك ان اشرب الكأس من يدك ؟ اذن املئي كأسا اخرى لك على حسابي ولنشرب معا ...

فلم تلتفت فريدا اليه . فتناول القدح وسكبه فـي حلقه بسرعة ، ثم عاد فطلب كأس بيرة مثلجة ، فسكبتها له الفتاة ولم ترفع عينيها اليه وهي تضع الكأس امامه . اما هو فكان ينظر اليها مبتسما ، حتى اذا وضعت الكأس امامه اسرع فامسك بيدها وما تزال اصابعها البضة البيضاء تحيط بها . فلم تحاول فريدا ان تنزع يدها من تحت اصابعه حتى وهو يرفع القدح الى فمه ويزدرد منه جرعة كبيرة ثم يعيده الى مكانه من الخوان .

في تلك اللحظة دخل الى الحانة اربعة من الشبان يتخلعون ويقهقهون كالسكارى ، فوقف احدهم الى جانب الخوان وطلب من الفتاة شرابا ، ثم نظر الى جمعه الذي افلت يد الفتاة عن الكأس بكثير من الامتعاض الصامت ، واطلق قهقهة عالية ساخرة احس جمعه بانه يسخر بها منه . فقفز عن المقعد العالي الذي كان يجلس عليه خلف الخوان ، وباسرع من لمح البصر كانت قبضته القوية تهوي على فك الفتى المقهقه ، فاذا به يلتوي الى الخلف ، ثم يسقط فوق احدى موائد الحانة ، فتهوي المائدة الخشبية تحته الى الارض وتتحطم بجلبة كبيرة ، ويهوي هو فوقها محطم الاضلاع من ارتطامه بالمائدة ثم من عنف السقطة .

فلما رأى رفاقه ذلك انقضوا على جمعه يريـدون الفتك به ، فقفز الى باب الحانة ، ثم استدار بقبضتيـه المطبقتين واطلقهما واحدة تلوالاخرى الى وجه اول مـن وصل اليه من الشبان الثلاثة ، فاذا به ينهار عند قدمي زميله كالثور الذبيح ؛ واندفع جمعه كالنمر الهائج الـى الشابين الآخرين ، فركل احدهما في بطنه ركلة عنيفة انقلب لها على وجهه فوق مائدة قريبة وراح يتلوى بالـم شديد ؛ وتناول جمعه رأس الثاني ـ الذي اذهلته المفاجأة العنيفة وضايقته الموائد المحطمة والاكوام الآدمية الثلاثة المطروحة على ارض الحانة ـ وجعله تحت ابطه الايسر وراح يعصره عصرا شديدا ، وقبضته اليمنى تعلـو وتنخفض بضربات قوية عنيفة على انفه ووجهه ، ثم تركه يهوى الى جانب رفاقه وهو يتخبط بالدماء النازفة من وجهه وانفه المهشم بغزارة .

جرى كل ذلك بسرعة مذهلة ، وفي اقل من دقيقتين كانت المعركة قد انتهت ، وكان المارة قد تجمعوا كلهم امام بابي الحانة بفضول ودهشة . ولكن جمعه لم يبال بشيء ، بل نفض ثيابه بهدوء ، ثم اصلح شعر رأسه بيديه وتناول كأسه عن الخوان فازدرد بسرعة ما كان قد بقي فيها . فلما اعاد الكأس الى الخوان احس بيدي فريدا تمسكان معا بيده حول الكأس. فنظر اليها فاذا ثغرها يشرق بابتسامة مغتبطة ملؤها الاعجاب . ثم ربتت بكفها على يده وهي تقول :

ـ انت بطل يا جمعة .

فابتسم جمعه لاطرائها واسرع يغادر المكان شاقا طريقه بين الجماهير المزدحمة على الباب تنظر اليه والى الشبان الاربعة الذين يئنون ويتلوون بين الموائد المحطمة والمتجمعة باضطراب داخل الحانة من أثر المعركة .

ومضى على ذلك اسبوعان لم يعد فيهما جمعه الى الحانة . ثم عاد اليها في مساء احد الايام ، وما كاد يصل الى الباب حتى قفزت فريدا من خلف الخوان تستقبله ضاحكة مغتبطة ، فتناولت يديه بيديها وهتفت به بلكنتها الاجنبية اللطيفة :

ـ أهلا وسهلا ، جمعه ! الا تدري انني انتظرك طويلا ؟

فضحك جمعه وسار معها الى الخوان ، فملأت له قدحا كبيرا بالبيرة المثلجة التي يحبها ، ورفعت القدح بيدها الى فمه وهي تقول ضاحكة مسرورة :

ـ ستشربها هذه المرة من يدي بغير ان تطلب ذلك .

***

ومضى جمعه يتردد على الحانة ، وفي كل مرة كانت فريدا تستقبله بانشراح واغتباط ، وتبدي له كل ما تملك من فنون الوله والاغراء والفتنة . وفي اوقات عطلتها الاسبوعية صارت تواعده وترافقه الى دور السينما ، والى ملاهي جبعات شاؤول وروميما وبيت فيغان القريبة من دير ياسين ، فتقضي معه ساعات طويلة في خلوات جميلة رائعة .

ومضت الاسابيع والاشهر متتابعة ، ثم كان لا بد ان تنتهي علاقات جمعه وفريدا نهايتها الطبيعية ، برغم المعارضة الشديدة التي لقيها جمعه من والديه ومن أهل قريته . ودخلت فريدا الى دير ياسين زوجة لجمعه . واكراما له استقبلها والداه بالبشاشة والترحاب ، واخذا يخدمانها بكل ما يستطيعان ليوفرا لها ولابنهما جمعه الراحة والسعادة ، واظهرت لهما هي بدورها ما لا مزيد عليه من صنوف الاكرام والرعاية .

وكان والد جمعه في سعة من العيش ، فلهما في القرية وعلى مقربة من عين كارم وكلونيا القريبتين اراض واسعة وكروم تدر لهما اشجارها ودواليها وزروعها الرزق الوفير . وقد مهد ذلك لفريدا ما ارادته من الحياة الرخية ، وقبل ذلك كان قد مهد لجمعه ان يكمل دراسته الابتدائية في القرية والثانوية في الكلية الرشيدية في القدس .

وانجبت فريدا فتى وفتاة جميلين كانا لوالديهما وجديهما بهجة القلب والعين ، وعنيت بهما فريدا عناية بالغة .

وسارت الايام سعيدة هانئة ... الى ان انفجرت الثورة في الشهر الاخير من عام ١٩٤٧ ، واخذت الاصطدامات والمعارك تتلاحق بين العرب واليهود، وبتساقط القتلى والجرحى من هؤلاء واولئك ، وتندلع النيران مقضقضة في الاحياء العربية واليهودية ، ونزح اليهود عن مساكنهم في الاحياء العربية ، والعرب عن مساكنهم في الاحياء اليهودية ، وانقطعت كل صلة بين الشعبين .

عند ذاك احس جمعه بانه موشك على مأساة في بيته وفي حياة اسرته ، واخذ اهل القرية ينظرون اليه بكثير من الريبة والحذر لان حية سامة تقيم في قلب بيته ، او على الاصح في قلب بيوتهم جميعا ، فما يأمن هو على نفسه وعلى اسرته ، ولا تأمن القرية من غدرها . واحست فريدا بانها قد اصبحت غريبة في بيئة لا تنسجم مع احساسها ودمها وروحها .ولكنها كظمت في نفسها كل شيء ، فما يبدو منها غير الرضى . حتى الفتكات التي كان ينزلها العرب باليهود في مختلف الاماكن ، ويشترك فيها زوجها جمعه في بعض الاحيان ، لاسيما عند مشارف عين كارم القريبة ، كانت تستمع اليها مبدية الرضى عنها والرغبة في المزيد منها . ولكنها حينما كانت تخلو الى نفسها وتطمئن الى ان الاعين لا تفضح سرها ، كانت تنفجر بالبكاء لكل معركة يخسرها قومها ، وتهدد في سرها بالانتقام .

لقد كان موقفا شديد الحرج لها ولجمعه ، فلم يكن جمعه اقل من اهل قريته وطنية واخلاصا ، ولا كان من الممكن ان يتقاعس عن خوض النضال الدامي ضد اليهود . ولكن زوجته ... أيأمن جانبها وهي تراه يحارب قومها ؟ وهل من الممكن ان ترضى في صميمها وفي اعماق شعورها بهزيمة قومها ؟ وماذا تكون حال طفليه لو تركها تعود الى الاحياء اليهودية ؟ ...

ولكن فريدا كانت تكتم شعورها في نفسها ، وتعرف بمكر اليهودي العريق كيف تسيطر على احاسيسها ، فكانت تؤكد لجمعه انها له وحده . وانها تكره ان تعود الى قومها وتتركه وحده في المعركة مع طفليه الصغيرين ، فليس قومه احب اليها منه ...

ومضت الاشهر تباعا وفريدا لا تبدي غير الرضى ، حتى اطمأن اليها جمعه واطمأنت اليها القرية كلها . وصمدت القرية الصغيرة الغارقة كالجزيرة بين احياء جبعات شاؤول وروميما وبيت فيغان ، وبين بعض المستعمرات اليهودية القريبة الاخرى ؛ فما كانت تخشى بأسا ولا تجزع امام اي اعتداء مسلح ؛ فقد اصبح في كل بيت من بيوتها سلاح وذخيرة ، ولم تعد عيون حماتها تسهو لحظة عن حمايتها من غدرات الجيران المعتدية الطامعين بها .

وفي الثلث الاول من نيسان كان اليهود في القدس يكادون يختنقون من الحصار الذي ضربته عليهم قوات المناضلين في طريق باب الواد . فانقضت جماعات كبيرة منهم على قرية القسطل العربية العالية واستولت عليها لتؤمن طريق القوافل المحملة بالمؤونة من تل ابيب الى القدس ، وتحطم قوى النضال العربي في باب الواد . وتحصنوا في القرية العربية تحصنا منيعا ، واقاموا حولهم سورا من الصفحات والمدافع الرشاشة . وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي قامت بها قوات المناضلين لاقتحام القرية وانقاذها ، فقد فشلت جميع المحاولات ، لان الرشاشات والمدافع المنصبة من عل لم تسمح بتقدم المناضلين خطوة واحدة بسلاحهم الضئيل الخفيف . الى ان عاد عبد القادر الحسيني ليتسلم قيادة المعركة في القمة الرهيبة ، واسرعت القرى العربية القريبة كلها لنجدته ، ودارت المعركة عنيفة رهيبة ، استغرقت النهار والليل ، ثم سقطت القرية بأيدي المناضلين بعد مجزرة رهيبة ، كثر فيها القتلى ، وامتلأ الجو بالانين ، وقضت الحامية اليهودية كلها في قلب بيوت القرية . وسقط القائد الكبير في وسط المعركة شهيدا يتخبط بدمائه من فعل رشاش يهودي مزق صدره وهو يقذف آخر استحكام يهودي في القرية بقنابله اليدوية .

وعاد جمعه بعد المعركة الى دير ياسين مع من عاد من رفاقه خائر القوى ، من شدة التعب ، فما استراح طوال ذلك الاسبوع . وعلمت فريدا بما وقع ، فثارت في نفسها النقمة والحقد ، ولكنها راحت تغالبهما وهي تستقبل زوجها العائد من المعركة وتحاول ان تبدي له الرضى والسرور بعودته سالما وبانتصار قومه في المعركة . ولم يستطع جمعه لشدة ما يعانيه من التعب ان يفطن الى صراعها النفسي العنيف . فطلب ماء وغسل يديه ورجليه ، ثم تناول طعاما واستلقى على فراشه منهوكا لينال شيئا من الراحة بعد عنائه الشديد ؛ واذ ذاك خلت فريدا الى نفسها في غرفة اخرى واطلقت العنان لعواطفها الهائجة ، فبدت كانها لبوءة جريحة افلتت من قفصها .

انها يهودية ... يهودية برغم كل شيء ... ومن المستحيل ان يخلص اليهودي لغير بني قومه . ولقد خسر بنو قومها في القدس المعركة التي كانوا يعولون عليها في فك الحصار عنهم وايصال الطعام من تل ابيب اليهم ، وخسروا مع المعركة ضحايا عديدة من الشبان والفتيات المحاربين . فلتنتقم هي على الاقل للضحايا اليهودية التي قتلت على قمة القسطل ، وليكن انتقامها من هذه القرية العربية التي تربض قوية مطمئنة في بحر من الاحياء اليهودية ... ولتبدأ الانتقام من زوجها نفسه ! ... الم يشترك في مذبحة قومها في القسطل ؟ ..

وعادت فريدا الى زوجها فوجدته يغط في نوم عميق . فلم تتردد ، بل اغلقت الباب وتناولت فأسا قريبة ثم اهوت بها على رأسه بالضربة الاولى ثم الثانية . وتركته مهشم الجمجمة غارقا في دمائه بعد ان رفعت الغطاء الى ما فوق رأسه ، وانسلت من الغرفة بغير ان تثير اية ريبة من حولها .

وكان الوقت اصيلا ، فلم تتريث لحظة في القرية ، بل راحت تتسلل بحذر وسرعة الى مستعمرة جبعات شاؤول القريبة ، تستثير بني قومها الى الانتقام من القرية العربية الباسلة ، وتخبرهم بان رجال القرية قد هدهم التعب من معركة القسطل ، وتكاد ذخيرتهم تنفد ، فلن يقدروا على المقاومة مدة طويلة .

وفي الساعة العاشرة ليلا كانت القوات اليهودية تطوق القرية وتضربها بقنابل المورتر ورصاص الرشاشات ضربا عنيفا متلاحقا ، والقرية ترد على النار بنار مثلها ، ونفوس المناضلين تلين ولا تسمح للمهاجمين بالتقدم . حتى كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وقد فرغت الذخيرة والقنابل ؛ وسدت في وجه القرية وسائل النجاة ووسائل الكفاح . فدخلتها القوات الهاجمة هائجة تنشر الهلال والدمار ، وتسفك الدماء في كل بيت .

وهرعت فريدا ، التي جاءت مع الحملة ، الى طفليها تريد انقاذهما ، ولكنها وجدت النيران التي اشعلتها القنابل اليهودية في البيت قد سبقتها اليهما .

عمان **عيسى الناعوري**

امي بعد عام

الى صديقي الدكتور سمير معوض



مر عام ، وانت في قبرك المحبوب ، حلم مجنح الاسرار
وأنا ذاهل الوجود ، شريد تائه الحس ، دامع التذكار
والندى، والعبير في شفتيْ نيسان، طيف من امسك المتواري
وكأن الحياة ، في قلبي المحموم ، لحن مقطع الاوتار

✶

مر عام ، وانت ، انت ، خيال عابر في مجاهل الذكريات
أتحراه في الغيوب ، وعيناي براكين لوعة والتفات
واناديه لو يردُّ نداء واحيبيه لو يعي صرخاتي
يا خيال الحبيب، في السهل والوادي، ترفق اذا مررت بذاتي

✶

مر عام ، وانت صفوِ لقاء بين ظل ، وايكة ، وبلابل
ورفيق الورود، يهمس في الآذان، همس الحبيب، حلو الشمائل
وانا وحدي المكفن بالآلام ، اصغي الى حديث الخمائل
واجم الروح ، استعيدك طيفا هو في قلبي المجرَّح ماثل

✶

مر عام ، وكيف مر ، ولم ألمحك فيه تلملمين الورودا
عشقت روحك الطيوب، فدنياك طيوب.. سحرية لن تبيدا
اسكرت أضلع الصباح ونامت في جفون الخلود حلما جديدا
يغمض الفجر عينه يلقاه رضيا ، ويستفيق سعيدا

✶

مر عام ، وكيف مر ، ولم انقع فؤادي بعطفك الابويّ
وأنا في الحياة بعدك شوق راغف بالحنين ، غير عصي
أسال الوردة الحبيبة ، عن مسراك، عن امسك الشهي، النقي
عن أويقات ليلة كنت فيها فرحة الزهر بالصباح الندي

✶

مر عام ، وكيف مر ، ولم الثم جبينا ، كالورد يرشح عطرا
كان للشاعر الكئيب هناء دافقا ، يترع الجوانح بشرا
بأبي وجهك النبيل ، بروحي بسمة ، تغمر العوالم سحرا
غاب عني ، فغاب كل رجاء انت ابدعته لعينيَّ قبرا

مر عام ، وكيف مر ، ولم أسمعك فيه ترددين الدعاء
ملأت كفك الرحيمة أيامي زهوا ، وغبطة ، وهناء
وطردت الهموم عني فراحت تسبق الريح ، للفناء ، فناء
ثم ماذا ؟ أكاد اغرق في الدمع، وأبكيك، ما وسعت، البكاء

✶

حسب قلبي ، وحسب قلبك يا أماه، اني غدوت بعدك فردا
أعمل الحاسدون، في صدري الجبار طعنا، فما تلفت زهدا
وتراموا على نجيع شبابي يلعقون الدماء ، لؤما وحقدا
وانا في السماء ، أمرح مخمورا ، وأحبو مع العرائس وجدا

✶

حسب قلبي، وحسب قلبك يا اماه، اني أعيش في الكون حلما
أزرع الشعر، والاساطير، أنغاما ، واغفو على المحاجر نعمى
وأراد البغاة ، ان تملأ الاشواك دربي ، وان أمزَّق هما
ثم قالوا تحبه وقديما رجم الانبياء جورا وظلما

✶

ايها الحاسدون ، ان حياتي وثبة ، تفعم الزمان دويا
ايها الحاقدون ، ان غنائي همسة ، تسكر الغروب الحييا
كل ما في الوجود يخبو ، ولكن فؤادي يظل حلما شهيا
أيها الحاسدون ، لن تقلق الاوهام ، قلبا ، معطرا ، شاعريا

✶

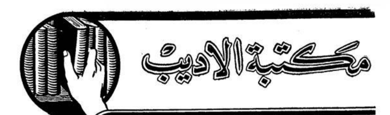
يا معين الوفاء ، يا جدول الاحساس، يا ام، هل أقول وداعا
وغدا ، يهرع الصباح الى الوادي، فيلقاك في السفوح شعاعا
وغدا ، يذبل البنفسج محزونا ، ويبكيك عطره ملتاعا
ويقول المنثور ، كيف تولت؟ أيها الزهر هل سألت الشراعا

✶

انا يا أم ، ذاكر أبد الدهر ، أحييك في الضحى ، والمساء
كل عمري أسى عليك ، فقولي للازاهير أن ترد هنائي
انها وحدها الوفية في الدنيا ، تباركت يا يد الانداء
هذه دمعة المحب ، وحسبي أن في دمعة الحنين عزائي

سوريا ـ السلمية

أنور الجندي



الف ليلة وليلة

لحسن جوهر ، ومحمد احمد برانق ، وامين احمد العطار ـ الجزء الثامن ـ ١٧٩ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر

في حياة كل شعب لحظات مضيئة ، تراود خياله ، هي لحظات عميقة في تاريخه تمدد بكل طاقاتها المنتشية، ويستعيد من خلال تذكرها ، احلام ماضيه البعيد ، ويسعده ان يحدق في صورته من خلال احداثها وذكرياتها ...

وهذه الليالي الخضراء ، من الف ليلة ، التي عاشها الشعب المصري في العصور الوسطى ... وتنفس من خلال حكاياتها ، وسمرها ، وملذاتها الوهمية ، كانت تعبيرا عن رغباته في الانطلاق ، وكانت اشباعا لحاجات هذا الشعب الذي تألم وناضل ، وسخر من الغزاة ، والطغاة ، والمستعمرين .. واستطاع بما روى من امثال وحكايات رمزية ، واخبار وطرائف ، ونكت ، ان يخلد ظهور اولئك الذين امتصوا قوته ، واستمتعوا بثمرات كده وعرقه .

ومن انتفاضات اليقظة الشعبية ، ان تلتفت الامم الناهضة الى ادبها الحقيقي ، ـ الادب الشعبي ـ فتنفض عنه الغبار ، وتتأمل فيه ذاتها ، وتأخذ من احداثه زادا وتفيد من تجاربه ، وتملأ من زيته مصابيحها في طريق الحرية ، والحياة الكريمة .

ومن الجهود المضنية التي قام بها علماء «الكلوفلور» استقامت للباحثين المناهج العلمية ، لدراسة الادب الشعبي، وفهم تطوره وتأثيره ، وتقدير ما يحمل من قيم ، والافادة منه ، وربط حاضر الشعب بماضيه في مجال هذا الادب .

لقد عاشت مصر .. والشعوب العربية ، قرونا طويلة ، مختنقة بمشانق « الادب الرسمي » الذي فرضته عليها دواعي السلطان والسياسة ، ونسيت ادبها الحقيقي المنبعث من اعماقها ، المتلون بعواطفها ، المعبر عن احاسيسها واشواقها الدافئة ؛ حتى كادت ان تنكر هذا الادب ، الذي ظل ينمو وحده ، في تياراته المتمددة ، بعيدا عن الادب الرسمي ، معبرا عن حياة الشعب الحقيقية ، عن تفكيره وتطلعه ، حاكيا آلامه واحلامه ، وكفاحه ، ومتاعبه !

وقيمة عمل ادبي رائع ، « كالف ليلة » نابعة من استمراره في الايحاء الى ادبنا بطريقة غير واعية ، لانه جزء من التكوين النفسي والتاريخي للفرد ، ترسب في اعماقه ، وتمتزج بحياته ..

ومن اجل ذلك اصبح من واجبنا فهم هذا الادب، وتحليل عناصره بطريقة واعية .. لندرك مدى تصويره للمراحل الاجتماعية الماضية من تاريخنا ..

وقبل ان نتحدث عن هذا « الجزء الثامن » الذي بين ايدينا ، ينبغي ان نعرض مقدمة المؤلفين ، لهذا الكتاب ، حتى نستطيع، ان ندرك الجهد الكبير الذي قاموا به في عرض هذا التراث المجيد .

فلقد تحدثوا الينا ـ في هذه المقدمة ـ عن شهرة هذا الكتاب بين العامة في العصور الوسطى في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ، وكيف عرفه الغربيون في القرن الثامن عشر ، فترجم الى الفرنسية ، وشاع بين اهلها ، ثم ترجم بعد ذلك الى جميع اللغات الاوروبية ، وتوفر الادباء على دراسته وتحليله .. وازاء التضارب بين نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة ، في ترتيب القصص واختلافها، والاضافات الموجودة في بعضها ، واختلاف اساليب التعبير فيها ـ ازاء كل هذا ـ مضوا في اخراجه بصورة جديدة ، وترتيب جديد ، واسلوب يعين على الاستمتاع به ، بعد تنقيته مما لصق به ، وتزويده بالصور الفنية المعبرة ..

والقصص المختلفة في هذا الكتاب ـ كما يقول المؤلفون ـ « حتى ما يزعم فيه انه يقص عن الصين او الهند او فارس ، ويصور اهل هذه الاقطار في عاداتهم واخلاقهم ، ومعايشهم ، ومآدبهم ... وآدابهم ... ويتحدث عن اعراسهم ومآتمهم ... ويذكر ملابسهم وهيئاتهم .. حين يقص الكتاب هذا او غيره ، يصور مصر والمصريين » ... وان « دي ساس » ، و « فون همر » .. وهما من اكبر الذين اشتغلوا بالمشرقيات .. متفقان .. على ان القصص التي ورد فيها ذكر « هرون الرشيد » ـ هي اولا : من خير القصص التي اشتمل عليها الكتاب ـ حلاوة اسلوب ، ودقة تصوير ، ومن اتقنها حبكا وربطا ، وهي ثانيا : مصرية الصفات والوقائع ، قاهرية اللغة ؛ فلغتها هي لغة المماليك ، في دواوينهم اخريات ايامهم .

وقد اشتمل « الجزء الثامن » من هذا الكتاب ـ الذي هو موضوع حديثنا على اربع قصص : « حاسب »، و«علي نور الدين ومريم الزنارية» ، و «كيد النساء وكيد الرجال» ، و « ابو الحسن وجاريته تودد» .. وفي القصة الاولى نرى انتصار الخير على الشر .. والاشادة بالعلم والحكمة .. والتطلع الى استكناه اسرار المجهول .. واحتمال المشاق والمتاعب في الوصول الى السعادة ونرى فيها انعكاسات الشعب الخلقية : التسامح والعفو عن الاساءة ، واعتبار هذه الاساءة قدرا مقدورا .. وفي القصة الثانية، تطالعنا صورة البطل، فنراه«جميل الهيئة، بديع الخلقة،ذا جبين ازهر،وخد احمر ، وعذار اخضر ، وطرف مكحول ، وقوام ممشوق ، وجمال الابطال ظاهرة عامة في الادب الشعبي ، فالبطل يجب ان يعطى مثالا للتكامل الانساني ، بتفوقه في صفاته الجسدية ، والنفسية ، فيهز بذلك الوتر النفسي في احساس القارىء .. وتعكس لنا هذه القصة كثيرا من خصائص الذوق المصري في الشعور بالجمال ، وفي الاهتمام بالطبيعة ، وذلك بتلوين المشاهد .. وها هوذا « علي نور الدين » : بينما هو سائر في سوق العطارين اقبل عليه من دكانه رجل عجوز ، وسلم عليه ، ثم امسك يده ، وسار به الى منزله .. ودخل به في زقاق جميل مكنوس مرشوش .. قد هب فيه النسيم صافيا عليلا ، واظلته الاشجار بظلالها المدودة ... » .

كما ان شيوع النكتة ، وخفة الروح المصرية نجدها مبثوثة في هذا القصص ، ففي قصته « مريم الزنارية » أيضا ، لا تنسى الجارية المعروضة للبيع ، او لا ينسى المؤلف الشعبي خصائصه الشعبية ، فقد عرض الدلال على الجارية تاجرا غنيا .. « فنظرت اليه ، فوجدته قد صبغ لحيته ، فأبت وقالت للدلال » فهل رأيتني روحا بلا جسد حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ ، وكلاهما كأنه جدار آيل للسقوط ، أو عفريت محقة النجم فخر هابطا ؟ ... لقد تكاثر الغش حتى صار في اللحم .. » ونراها تعلق على رجل طويل اللحية بقولها الساخر : « لقد قيل : طول اللحية امارة على نقص العقل » .. ومن الخصائص العامة لهذا القصص ، وضوح التلوين الديني ، وتشبعه بشحنات الجو الخرافي ، والاعتماد على الخوارق والمعجزات في حل عقدة القصة ، والاستسلام للقدر ؛ والخلاص بطريق غيبي ، وتنتهي هذه القدرية البسيطة الطيبة دائما نهاية سعيدة .. ويعلل « الدكتور عبد الحميد يونس » لحتمية هذه النهاية السعيدة في الادب الشعبي ـ مع ان واقع الحياة لا يعطي هذه النهاية دائما ـ بان هذه النهاية تسليم تام للقدر ، ومحاولة لاخضاع الواقع لمنطقنا الشخصي في الحياة ، وذلك تابع من شعور غير كامل بالفردية ، وانتظار للتغيير من قوى غيبية ، من خارج النفس ، وفوق النفس..

وفي هذه القصص تلمح ظاهرة تعكس طبيعة الشعب المصري ، في نمو المشاركة الوجدانية بصورة سريعة بين افراده في المواقف الحرجة .. فنور الدين يحزن لضياع جاريته ، بعد ان خطفت سفينته ، مركب من مراكب الفرنجة .. « واشتد به الحزن وقال : واضيعة المسعى ! » فالتف حوله الناس ، فاخبرهم بقصته ، فانكروا عليه سوء تصرفه ، ووبخوه ، وشتموه » .. « ومن قائل كفاه ما جرى له وذلك جزاء الغبي الذي لا يحكم تدبير امره» . فنحن نرى ان الناس يتحدثون بحماس عظيم في امر لا يعنيهم في ظاهر الامر ، بينما هي ظاهرة ، اذا تعمقناها وجدنا فيها لونا صادقا من المشاركة ، وقوة من قوى هذا الشعب المدخرة الحية ، قوة جماعية لا تشتعل الا بالاحداث .. »

واخيرا فقد اعطانا المؤلفون الفضلاء في هذه المجموعة كل الوسائل التي تعين القارىء على مطالعة هذه القصص وتذوقها .. من روعة في الاسلوب ، ووضوح في العبارة ، وانتقاء للالفاظ بطريقة معبرة عن جو الليالي ، بصورة سليمة مختارة .

ومما لا شك فيه ان الكتابة ممارسة ، وللمؤلفين ماض طويل في التأليف ، يشهد بتعمقهم تيارات الثقافة العربية ، وطواعية اللغة لاقلامهم ، ولعل الشيء الذي لا ينبغي ان تغفل الاشارة اليه هو قدرتهم على التعبير في هذه القصص بطريقة « علمانية » دقيقة،، لم تجنح الى المبالغة او الاسراف ، بل انها تنقل افكار القصة الى القارىء في اشراق ووضوح هما سر الجمال في الفن .. وعندما تكتمل للقارىء اجزاء هذه المجموعة التي يتوالى اخراجها ـ فانه سيقدر للمؤلفين هذا الجهد المضنى الذي قاموا به ، في خدمة تراثنا الشعبي الخالد .

القاهرة **محمد فوزي العنتيل**

اغنيات ليست للاخرين

لسعدي يوسف ـ شعر ـ ٣٩ صفحة ـ مطبعة الاديب ـ بصرة العراق

يقولون ان الشعر موهبة، وازيد ان الشعر حصيلة مواهب اذا اجتمعت على صعيد الحس الانساني الرهيف ، انقلبت الى زخارة وجدانات لاهبة تمور في عمق اعماق صاحب الفن . والشاعر سعدي يوسف تهيأت له في شعره الذاتي ، الحالم ـ الذي لم يختط بعد مدارج العظام ـ بعض تلك الاشراقات الشعرية ، التي تهز الروح الهادىء بقدر ما تغمره بحرارة السمو الوجداني .. ان من يقرأ شعره لا يمله ، ويود ان يستزيد من مطالعته . انه من النوع الجمالي الذي يستقر في جوانحك ويملأ آماد احلامك لكنه مع كل ذلك قاصر عن ان يمدك بجمال المضمون ، وانسراح المعاني الكبيرة . فهو يرضيك جرسا وقالبا ويجعلك تغمض عينيك وتسرح في هينمات من السكون الذي لا مزيد عليه . ثم اذا اخذت شعره جملة آنست به وايقنت ان في ابياته مخلوقا شعريا يزمزم بين اثنائه ، ولكنه مخلوق يصاب بالغثيان احيانا لضعف في مضامينه الموحية . وقد ادرك ناظم الابيات مرارة تقصيره في رسم المعاني واعترف بانه يعنى بالشكل لا المضمون اذ يقول في مقدمته مخاطبا القارىء (الا يحمل القصائد اكثر مما تحتمل من الجد والدراسة العلمية فقد نظمت ايام الشباب ، ايام كانت ابتسامة واحدة ـ ولو عن خطأ ـ تهزنا هز الاعاصير) .

ان اول ما يفاتحنا به في مجموعته الشعرية هذه ، هو هذا الاصرار الثابت ، والحلم الواسع ، والعزيمة الروحية الثاقبة ، دالا على شموخه الفني واعتداده في خلق الهيام النبيل :

انا من يلم حصيد النجوم
ويجمع من ثمر الفرقد
ومن يلمس البدر في افقه
ومن يرتدي انجم السرمد
ونهر المجرة الهو به
واسبح في لجه المزبد
فاما اردت بلوغ السماء
فهاني يدا للهوى في يدي

أليس بعد هذه الفاتحة الموفقة ، الشامخة ، ما يدفع الى استعراض سائر القصائد . ان من يجمع ثمر الفرقد ويلمس البدر في أفقه ، حقيق بان يجعلنا نتأمل شعره . لنقرأ قصيدته المعنونة باغنية جبلية :

يا ليت ريح الشتاء   عن ارضنا تخبو
فيستفيق المساء   وتومض الشهب
وكيف يمضي الشقاء   ان لم يكن حب

مري غر النجوم   ويشمل الفرقد
وفوق بيض الغيوم   مسندنا الارغد
والحب ظل يحوم   يحنو عليه الغد

وبعد هذا النشيد، الهامس، المنساب، يستمر الشاعر في اكثر قصائده متئدا في تطوافه الغزلي حتى يحاول

متعمدا ان يطلع علينا باغنيته التي اسماها (اغنية ليست هادئة) ناسيا ان الطبيعة ، طبيعة المرج والسفح ، والكاسات لا يذهب بسكونها ، هدير الينبوع ، واصطفاف الثلج في القمة البيضاء . فهي هادئة باسمة على اي حال :

واللوز كادت اكف الحب تبلغه لكنه من رقيق اللمس ينهار
فقل لسكرين قد جفتجوانحنا ظماى وكل السفوح الفيح انهار

ويبدو ان روح فارس الشعرية ، وحمزة الخيام ، والحان الفردوسي والشيرازي قد اثرت تأثيرا عميقا في نفس الشاعر ، فتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من هذه الروح الهيامية والغمزات الصوفية ولكنها تجيء على نحو حسي هابط حينا او على نحو دعائي مشوب بلسعات الحسرة والحنين احيانا اخرى كما يلوح في (صلاته الجدية تقريبا) :

نهاونـــد كانت لنا وكـــان لنـا ملكنـــا
وغرناطة الفاتحـــين وبغـــداد والمنحنى
ولبنان طفل الشراع ونجـد وكل الدنـــى
وكانت بلادي منـــى توشحهـا سوسنـــا
وكان لنا في السمـاء الـه رحيم بنـــا

. . . . .

تعاليت يا ربنـــا لقد كنت برا بنـــا

واحسب ان الشاعر يوغـــل في بعض قصائده في التصنع اللفظي ، وخلق الالفاظ النائئة القلقة فيعطينا صورة مشوهة لهمود التجربة الشعرية ، فقصيدة (عاليا حيث اسمع صوتك) و (ثنائي) و (غضب حزين) يخشى عليها من الهلاك اذا مستها يد الناقد وكان حريا بالناظم الا يودعها صفحات هذه المجموعة . ولعل من غرر قصائده (بـوح خجول) و (دعوة) و (لست أسير وحدي) و (الصيف جاء) التي تقراها مأخوذا بموسيقاها المذبة وايقاعهـــا الادائي المنغوم .

العراق ـ البصرة **عبد الرحمن علي**

الزورق السكران

لمحمود عيسى ـ شعر ـ ١٢٢ صفحة ـ مطابع الحضارة بطرابلس

رافقت محمود عيسى في هنيهات حلوة من الزمـــن . وطوفت في المراحل التي اجتازها . صعدت الى الاجواء الرحيبة التي هوم فيها ، وغصت الى الاغوار السحيقة التي نقب فيها ، وجريت مع زورقه السكران الذي تتلاعب به غوارب الامواج ، التواق الى الضفة الخضراء ، وتنصت الى همسات جدوله التائه المتكسر على الحصباء حينا ، المعانق الحشائش ، والمتلاشي في انفاس الرمال الجافة آونـــة اخرى . وخلوت به في وحدته يضاجع الفراغ عاكفا عـــلى ذاتهيملعمن نفسه وينتف من كبده.ولم تعقه جراحهالراعفة من ان يمتطي متن السحب ونتف الضباب يصفع العاصفة.

محمود عيسى شاعر يخادنه الالم ويسامره العذاب ، ويسير في هذه الطريق الشائكة التي تنتهي به الى المجد والغلبة .

ولي ان اقول انه قد اغلق علي ان اتعرف من أيـــة نافذة اطل عليه هذا البؤس الذي يلفه ويغمر كيانه وتعمر به قصائده . . .

أهو بؤس تفشى فيه وتغلغل الى صميمه بسبب طيف امراة وفي مجموعته أكثر من خيال امراة ؟

أم هو مستمد من تأمل في شؤون الحياة والانسانية المعذبة ، وفي الديوان الماءات والماحات عن صفحة الوجود التي سودها الفجور ؟

ثم ان حزنه ينداح تقريبا في كل بيت ويندس في كل لفظة ، وتتشح به كل قافية .

هل هي سانحات من الزمن تجهمت فيهـــا الرؤى وارتدت ؟ .. ولكننا نستلمح خلف هذه الطيرة أفقـــا نائيا رحبا نوارا يتوق اليه عبر مواكب الاحلام . ان المـــه الذي يدب في أوصال حرفه يدفعه الى الانفلات في هـــذا القفص المادي المظلم الادكن . ونراه في هنيهة أخـــرى يتشبث في أهداب « الان » فغده مبهم مخيف وهو في ظمأ الى ان يترع كاسات الحب الاحمر السكران . هـــل نحسب هذا تناقضا وتباعدا في نفسيته ؟ لا ، فملامـــح شاعريته مختلفة الخيوط ، فاذا هي نسج فيه من برعم الفجر ، وخضرة الضفة ، وعتمة الليل ، ورمادي السحابة الوان . ولا مرية ان الشاعر مر في تجارب قاسية عصيبة فكان صادقا مخلصا ادى شعوره وحمل الحرف الكثير من نفسه .

انه ينتصر على جراحه التي لا تفضي به الى الاندحار، فالالم يصهره ليتطهر من شوائب تعلق في برديه فيتوصل الى القمة :

جرحتني الالام فانتفض الكبـــر وثار الشموخ ملء جراحي
فاذا الشعر نفحة من عبيـــري واذا النجم ملعب لجناحي

هكذا يقدم شعره : انتفاضـــة كبر ، ثورة شموخ ، وعبير متسائل من صميم الجراح المتفتحة ، ويرضينـــا بجناحه المتلاعب بالنجمة .

والليالي ، ماذا تحتقب له ؟ انه لا يحفل بها ولا يأبه لها ، فلتقذفه بالمصائب ، ولتصب عليه الكوارث زمـــرا وفرادى ، فالعذاب درب الى المجد :

« عذبيني ... وآلمي ... يا ليـــالي يورق المجد ، في حقول العذاب

ويجدر بنا ان نتوقف عند هذا المجاز **يورق المجد**

وما هذه العتمة التي يدلج في غمرتها ، فهي تطبـــق عليه وتجثم على صدره فتكاد تنسيه ماضيه . ولنمعن النظر في هذا التساؤول الذي يعتصر الشوق والقلق :

« أين امسي ؟ فقدته ... كيف أحيا وغدي الوهم والسراب عناقي
« غنني ... يا نديم !! واسكب وغرد نغم البؤس ... انه اشواقي !

يتراءى لي ان دنيا من ظلام الوهم خبيئة في « السراب عنـــاقي . »

ولنتبصر في البيت التالي ، لعلنا نستكشف جراحه وبؤسه وثورته :

« لم يعد للوجود معنى وطيب غـــير نتن الفجور ، والباساء

عين يغلقها الى المجتمع . لله ما اكبر قلوب الشعراء

الذين أودعت العناية في نفوسهم ارهاف الحس ، فاذا ينزعون على الضعيف في جنانهم ، وهم نداء للشريد . فنحن نأنس لدمعتهم وهتافهم في مآسينا التي هي مآسيهم . ومن منهم لم يتخلع قلبه ويتكسر بعضه على بعض في مصائبنا ؟ ومن منا لم يتسمع الى الخشة والخفقة والتنفيسة في الحرف الذي استقطروه من صميمهم ؟؟

وشاعرنا سيكافح ولن يوهي له البؤس جلدا وعزما . انه في زحمة المعركة :

« يعصف البؤس بالنفوس فتنقاد لدنيا مليئة بالكفاح
« انا منها شجونها ، وأساها ، والعبير الضحوك ملء البطاح
« والمساء الكئيب ، والعبق الحلو وشي في افترار الصباح

آن لنا ان نبصر خلال هذا الدخان المتعاقد جسرا ضحوكا . لماذا يا شاعري لا تمتع نفسك بهذا الجو العبق ؟ الالفاظ تتساوق تساوقا بحلاوة وتميس في نغم منسرح على اطياف حرف أنيق .

وهذا « جدوله التائه » يهيم بلا أمل مع ان الطبيعة غزلت بساطا مخمليا لمياهه الرقراقة .

ولماذا يتسارع الى القفر الجاف الاسمر ؟ والشاطىء ندبان ريان والشمس تتعرى في سلسبيله . وهل «الجدول التائه » غير الشاعر المشيح الطرف عن اللذاذات والجمالات؟

« يا جدولي !! يمك يهفو الى لقياك ، فاجر نحوه ، وانزل
« اما ، انا ، فالروح حيرانة تطلب شيئا ــ بعد ــ لم ينجل .

وانت ترى الشوق والتوق والحيرة ترف على اجنحة الحروف . وتستطلع قلقا لا يستكين . وفي هذه القصيدة رمزية وان لم تنضو المعاني في تجاعيد الغموض البعيد . ويبدو لي ان بين هذه القصيدة وشيجا وقرابة بين « النهر المتجمد » لنعيمة . فالتجربتان الشعرتان من معدن واحد . قال نعيمة :

« يا نهر ذا قلبي ، أراه كما أراك مكبلا
« والفرق انك سوف تنشط من عقالك ، وهو لا

وتتراءى لنا وحدة الشاعر النائمة على أضلع الفراغ ، والناس يمتصون اللذاذة من رحيق الحياة في أباريق من ذهب ، ويمرحون في رياض ضمخها العبير . وهذه الوحدة تتمشى على رفة نغم قلما يتغير ارنانه .

« وحدتي ، لو كنت تدري وحدتي ، نغم قاس على نفس الوتر

وفي قصيدة « سراب » يعاف الكأس التي يصبو اليها . هي حرقة وغصة ولفحة حارة . قلب دفين في الرمال اليابسة .

وتتساءل ما الذي يعصف في نفسه ؟ ما الذي يصوح املوده في مطل الشباب ؟

« هاتي الجفاف المر من فمك ، المخضب باكتئاب .
« طلقت لذات الشباب ورحت أغرق في عذابي

وهنا لا تخونه الصورة الحية النشيطة التي رش على خطوطها من نفسه . والالفاظ دافئة محرورة . وتصفى على وتره ريح سموم . انه يشوي ذاته على السنة اللهيب فيصعد الآهة موصولة بالآهة . سماء كالحة غائمة مع ان الكثير من مقطعاته تحفل بالكأس والشفة والنهد والخصر اللدن ويتأود فيها القد المشيق .

اما في قصيدته « كلبها » فشعور يبدو فيه الافتعال والاغتصاب . وكأني بالشاعر ما ساق ذلك الوصف المتهافت الا ليبلغ حكمة استهلكها الزمن .

« لفك المجد رغم كل قوي يكتب المجد في مداد الجراح

وبالرغم عن « مداد الجراح » هذه الاضافة المستملحة فالفكرة قديمة غشتها الرثاثة ، وان يكن قد نفخ فيها موجة جديدة . أقول ان التجربة الشعرية في القصيدة ضعيفة هزيلة .

وبعد ان عب من وصبه ما عب ، وتروى من السراب ونهشته مخالب العذاب ، وعضته الحيرة ، يرتمي في أحضان المرأة :

« اسكبي روحك في روحي وضميني لصدرك
« واملئي بالآه أجوائي ولفيني بشعرك
« قربي ثغرك ، صبي شفتي في شفتيك
« واسمعي قلبي ... يهفو خافقا ... شوقا اليك

انه يهفو الى المرأة بحرارة . يتشوق الى العناق ، الى ارتشاف الكأس . والى الى ... ولكن الالفاظ تبدو خوارة لهاثة ... لا أدري لماذا تلمست فيها هذا الجمود .

وفي قصيدة « حنين » صيحة اللحم وثورة الدم الدافق . لقد ضج فيه الحنين واستبد به الشوق ، فهو عطش الى ليلة حمراء الى سكرة يدك فيها عواميد الليل ،

الى لذة مجنونة . والصبح ، فليتوار في طيات العدم .

« يا ليل ، كم ضجت لديك المنى حتى شكا في ليلنا المطلع
« يا ليل ، يا اسمر ، ما ضرنا لو ، لفنا ، في صدرك المخدع
« ندغـــدغ اللذات ... عريانة مجنونة لا تهجـــــع
« ونحضن الدنيا ، وما انبتت من لـــذة حمرا ، ولا تشبـــع

وحسبي ان أشير الى المادة اللفظية الموحية : يا ليل ، المطلع، المخدع، ندغدغاللذات، عريانة، مجنونة، لذة حمراء. ألفاظ مؤاتية تعيش في ثناياها المعاني بهناءة ودفء . في القصيدة فيض وانهمار .

وسمراؤه ذات خصر معتل متأود ولكنها عصية فلا تكاد تنفرج شفتاها عن كلمة فيناشدها البوح ويشبق فيه الشباب ويفح .

« في خصرك المعتل ، آيات الجمال ، فلا تزيـــدي

ولقد احسن في تزويج الخصر بالاعتلال . ويهل علينا في قصيدته « تحد » بنزعة نؤاسية متنبئية ، يهب شبابه للحب ، فيطارد الجمال اما شبح العذاب فيلاحقه وهو في لذة العناق ونشوة اللقاء :

« انا كالطود ... شامخا ، لا ابالي كل بؤسى يمر بي ... كالضبـــاب
« عذبيني !! فلن افيق مع الفجر من السكر ... ، او احل ثيـــابي
« انا دنيا !! نعيمهـــا ، وشقاها ، بسمة الفجر ... واكتئاب الغيـاب

وفي القصيدة غليان وفوران ونغم حلو يبعث الحركة في الحرف . وتبلغ القصيدة الذروةعند هذه التصعيدة :

« حمليني من المصائب دنيا انا التذ غارقا في مصابي

ويا ليتك ، يا شاعري ، استغنيت عن « او احـــل ثيابي »

ويطيب له ان يذهب اللذة في (الان) :

« نحن نشيد الحب ذوبي معي ، في غمرة الان ، غدي مبهم

وعلى قصيدته « حموية » ترف أطياف ذكريات عذبة وتنساب القصيدة ابيات هي من الشعر الرطب اللين فيها هينمات لطيفة ورفات أطياب :

« يا حبيبي !! ان تذكرت فلي
« امل ، ان تذكر العهد معي
« يوم .. عمدنا الهوى ، في الجدول
« في حفاف الروض ، قبل المطلع

أما قصيدته « الزورق السكران » فهي أشد قصائده حرارة ، وفيها تشوف الى غيب قصي بعيد ، وتطلع الى عالم يمسحه الجمال ، وتموج فيها الصور وتمور فلا نكاد نقرأ بيتا من الشعر حتى نقع على الصورة الرائعة المعبرة المخرجة في الاطار الفني :

« فداك ... هذا الموج ... لو مسه ، قلبي كاللظى المحرق

انعم النظر في تلظي الموج فتبين هذا التعبير عـــن الصدر المسعور . وشراعه منسوج من زنبقات الصبـــح ولكن قلب البحر يابس فليتهادَ الشراع في ادمعه ليغيب خلف الافق عن الحياة المشحونة بالبؤس والضيق :

« تنساب مجنونا على صدره وقلبه الجامد لم يخفق
« يا زورقي السكران !! يكفيك ، لو تجري على ادمعي
« شراعك الابيض !! من حاكه من زنبقات الصبح والمطلع
« واجر معي نرتاد ، حلو المنى من موضع غض الى موضع
« الغيب .. يدعوني .. الى رحلة يا حبذا لو كنت معي

أما قصائده « صدى » نغم يموت « انطلاقه » النداء البعيد » ، « دنيا » « جحود » « الخريف » فأصداؤهـــا متشابهة ، ولا غرو في ذلك فشخصية الشاعر هي المحور الذي تدور عليها . وفي روافدها تنصب القوافي، وحسبي أن أشير انه يدفق في كل قصيدة موجة جديدة ، وينفح فيها حياة نشيطة ، ويبعث صورا زاهية الاشراقة .

ادن منه يقول في انطلاقة واستمع الى هذه النبرة ، وتأمل في هذا الاستفهام الممسوح باليأس والالم والشوق :

« انا في العيش ، في اتون من البؤس اسير ، متى يحين انعتاقي ؟
« أين شدوي ؟ وزهوتي ؟ وانطلاقي ؟ اين صفوي ؟ وطلعة الاشراق ؟

ولا يضير هذه القصائد ان تكون في جوهر متقارب . الم يقل شيلر : « الجوهر لا شيء والشكل الشعري هو كل شيء » .

وبعد ، فالشاعر محمود عيسى يطـــل على الحرف العربي في كثير من القوة والحلاوة ، ولقد لقفه من نفسه على غير بخل . ولقد آتاه ان يخلق الجمال وان يحملنـــا على الاثارة .

وشعره يستقي من جداول نفسه ، ويلوح انه عاش التجربة الشعرية ، ألم يقل بوردبو : « الحقيقة العميقـــة في الذات هي موضوع الشعر الحق ، بحيث يصبح الشعر توقا واشتياقا . »

في الزورق السكران خميرة شعرية ومادة وافرة . وليس لي أن اناقشه في مزاجه الشعري ، فله الحق كل الحق ان ينظم في الموضوع الذي يريد وما يلائـــم هواه وذوقه . بيد اننا اذا وقعنا على اللفظة المتراقصة ، الحادة ، فقد نعثر على اللفظة الجافة التي استنفذت قواها . ولي ان اهمس في اذنه ان يعنى باللفظة ، فهي التي تبين حركات النفس ونزعاتها . وهي التي تبث الرعشة وتشيع النشوة، وانى يتسنى لها ذلك ان لم تكن حارة ، طريفة ، نازلة في مكانها ، موقعة ، بعيدة عن الانزلاق في الابتذال والاسفاف، قال فاليري : « الشعر لغة جديدة في اللغة نفسها . »

وهل لي ان انوه الى بعض هنات لفظية ؟

حين يعلو وجهها **حمرة التفاح** : هذا كلام مستهلك . غض الاهاب : تسوقه اليه القافية . الى حسن يثير ولا يضير . فما هو موقع لا يضير هنا ؟

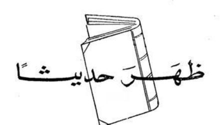
« تظل بالاشـــذاء فواحة لكنها ... عذراء ... ليست تباح

ولكنها هنا عكازة واهية . وهو مولع بقافية الحاء ، فتراه يكثر من زج : المباح ، الجراح ، الوشاح ، السماح ، الصباح ، الجنـــاح .

وعـــلى كل فالزورق السكران يبتسم بفن لا تعوزه الاصالة .

ومحمود عيسى شاعر واعد واملنا انه سيريق النور ويهرق العطر على الحرف العربي

الفرد خوري



● عابرو السبيل ـ مجموعة قصص ـ تاليف السيدة نجوى قعوار فرح ـ قام باختيار اقاصيص المجموعة والاشراف على نشرها لجنة من اصدقاء الاديبة المقيمة في مدينة الناصرة وهم الاساتذة سامي حبيبي وتوفيق قعوار وعيسى الناعوري ـ ٢٢٦ صفحة ـ مع مقدمة بقلم عيسى الناعوري ـ الرسوم بريشة مصطفى فروخ ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● أنين الارض ـ مجموعة قصص ـ تاليف صميم الشريف ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة العلوم والاداب بدمشق .

● رسالة الفكر العربي ـ للدكتور فايز صايغ ـ ١١٩ صفحة ـ منشورات مجلة الاحد بيروت .

● من رواد الادب المعاصر ـ تاليف حليم متري ـ ٢١٢ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● ذكريات لرضا التامر مفوض الحكومة لدى مجلس شورى الدولة ـ مع مقدمة بقلم حبيب ابو شهلا رئيس المجلس النيابي اللبناني سابقا ـ ٣٢٣ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الاداب بيروت .

● قبل فوات الاوان ـ دراسات ومطالعات حول الاحداث السورية ١٩٤٨ ـ ١٩٥٥ بقلم الدكتور اديب نصور ـ ٢٢٣ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت .

● اين هم العرب الاحياء ـ تاليف ميشيل حتوني وجوزيف كيروز ـ مع مقدمة محمد صالح البنداق ـ ٩٢ صفحة ـ مطابع عون وحداد بيروت.

● عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث ـ دراسة تحليلية بقلم الدكتور احسان عباس المحاضر في الادب العربي بكلية الخرطوم الجامعية ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت .

● الاسلام والمراة ـ تاليف الشيخ جعفر النقدي ـ ٨٣ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مكتبة النجاح بالنجف العراق .

● رحيق الارواح ـ مجموعة شعرية ـ لمحمود شوقي عبدالله الايوبي ـ ٢٤٥ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● الحياة بعد الموت وطرق الاتصال بالارواح ـ تاليف كوستا الخوري ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الاندلس في القدس .

● كهف الاستبداد من خلال الحرب الاخيرة ـ مجموعة مقالات ادبية ـ تاليف سبع بركات ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الاتقان ببيروت .

● سلمى صائغ آهة من بلادي ـ تاليف السيدة املي فارس ابراهيم ـ ١٣٠ صفحة ـ منشورات جمعية اهل القلم بيروت .

● بطولات عربية من فلسطين ـ تاليف عيسى الناعوري وابراهيم القطان ـ ١٢٨ صفحة ـ المطبعة العصرية بالقدس .

● الشياطين الخرس ـ مسرحية ـ تاليف عبدالله عبد الجبار ـ ١٢٧ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● المعطف ـ قصة طويلة تأليف غوغول ـ ترجمها عن الروسية الدكتور بديع حقي ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت .

● العشاق الخمسة ـ مجموعة قصص ـ تأليف يوسف الشاروني ـ ١٧٤ صفحة ـ منشورات الكتاب الذهبي الذي تصدره نادي القصة بالقاهرة ـ مطابع روز اليوسف بمصر .

● مارس يحرق معداته ـ رواية تمثيلية ـ تاليف عيسى الناعوري ـ ١٥٦ صفحة ـ سلسلة اقرأ العدد ١٤٧ ـ منشورات دار المعارف بمصر .

● ديوان وحي الحق ـ مجموعة شعرية ـ للامير صقر بن سلطان القاسمي امير الشارقة وملحقاتها « خليج عمان » ـ ٢٥١ صفحة ـ مطبعة كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة .

● الشعر العربي في المهجر ـ تاليف محمد عبد الغني حسن ـ تصدير عزيز اباظه ـ ٢٩٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة .

● Pages Choisies de José Marti (1853 - 1895) - Préface de Max Daireaux Traduction de Max Daireaux, Posé Carner et Emilie Noulet - Relue par Jean Camp - 400 pages gd. f. - Collection Unesco d'œuvres Représentatives - Les Editions Nagel, Paris.

● فجر الحياة ـ مجموعة شعرية ـ لمنور صمادح من رابطة القلم الجديد بتونس ـ ٦٤ صفحة ـ طبع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● لسان العرب ـ المجلد الاول ـ للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ منشورات دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● ما هي المادية ـ الكتاب الاول من النظرية المادية في المعرفة ـ تأليف روجيه جارودي ترجمة محمد عيتاني ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار المعجم العربي ببيروت .

● عرس الدم ـ مسرحية تأليف شاعر اسبانيا لوركا ـ ترجمة وعرض وتحليل الدكتور علي سعد ـ ٢١٣ صفحة ـ منشورات دار المعجم العربي ببيروت .

● من القصص المصري ـ ٩٦ صفحة ـ ومن الادب الهندي ـ ٩٥ صفحة ـ ومن القصص العراقي ـ ٩٤ صفحة ـ وهذه الكتب هي رقم ٢ و٣ و٤ من كتاب الشهر الذي يصدر باشراف جميل جبر في سلسلة الروائع العلمية ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● اللؤلؤة القصة الانسانية الخالدة ـ تاليف جون شتاينبك ـ ترجمة سهيل ايوب ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● المختار من ادب الرافعي ـ مع مقدمة بقلم صدر الدين شرف الدين ـ ٢٢٣ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت .

● مباهج الفلسفة ـ الكتاب الاول ـ تاليف ول ديورانت ـ ترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهواني ـ تقديم الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● الرجل الاعصار جمال الدين الافغاني ـ تأليف ثابت المدلجي ـ ١٣٤ صفحة ـ منشورات دار المعجم العربي بيروت .

● نحو عالم عربي افضل ـ تأليف الدكتور قسطنطين زريق والدكتور احمد السمان والانسة نازك الملائكة ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت .



مؤتمر الدراسات العربية الخامس

في الجامعة الامريكية ببيروت

انعقد في الجامعة الامريكية ببيروت بين ٢٥ و٢٩ ابريل الماضي مؤتمر الدراسات العربية الخامس ، وهو المؤتمر الدوري الذي كان للدكتور نبيه امين فارس فضل الدعوة اليه منذ البدء وفضل اعداده ورئاسته يعاونه لفيف من كرام الاساتذة اعضاء هيئة الدراسات .

وكان الموضوع الذي دار البحث حوله في هذه السنة ، هو مهمة الجامعة في العالم العربي » . وقد عالجه في شتى وجوهه الاساتذة : كامل عياد (سوريا) وفؤاد افرام البستاني (لبنان) ونقولا زيادة الذي حل مكان الدكتور عبد الحميد كاظم (العراق) في اللحظة الاخيرة ، ثم الدكتور طه حسين الذي قدم خصيصا من مصر للاشتراك بالمؤتمر.

وكانت المحاضرات الاربع موضوع مناقشة ، اعقبت كلا منها . وقد كانت جلسات المناقشة خاصة باعضاء المؤتمر . اما المحاضرات ، فكانت عامة ، حضرها جمهور كبير . وننقل الى قراء الاديب في هذه الصفحات ملخص تلك المحاضرات .

ما هي الجامعة ؟

للدكتور كامل عياد

استعملت كلمة (جامعة) ، في بادىء الامر ، للدلالة على الرابطة التي تجمع بين الطلاب والمدرسين في المعاهد العلمية التي نشأت بايطاليا ثم انكلترا وفرنسا ، في القرن الثالث عشر . ومنذ القرن الرابع عشر اطلق اسم جامعة على هذه المعاهد نفسها التي لم تعد تدرس علما واحدا ، بل تشمل الدراسة جميع العلوم والفنون.

واقدم الجامعات الاوروبية هي جامعة سالرنو التي نظمها الملك فريدريك الثاني في سنة ١٢٢٤ على نسق المدارس العربية . وفي الواقع تكاد تتفق كلمة المؤرخين وعلماء التربية على ان اقدم معهد للتعليم العالي يستحق اسم (جامعة) هي المدرسة النظامية في بغداد التي تأسست سنة ١٠٦٧ . وكانت الدولة قد خصصت لها الاوقاف لدفع مرتبات المدرسين وتأمين معيشة الطلاب.

اما المعاهد العلمية في العصور القديمة ، مثل (اكاديمية) افلاطون و (ليسة) آرسطو ومكتبة الاسكندرية فلا يمكن اطلاق اسم جامعات عليها لانها لم تكن مؤسسات عامة رسمية منظمة .

كانت الجامعات الاوروبية في القرون الوسطى تؤمن نفقاتها من الاوقاف . فساعدها ذلك على ان تتمتع بقسط كبير من الاستقلال .

وهكذا فقد نشأت الجامعات كمنظمات اجتماعية ومؤسسات عامة تتولى ادارة شؤونها بنفسها . وهي قد ازدهرت في العهود التي ظلت تستجيب فيها لحاجات المجتمع . الا انها تميل بطبيعتها الى المحافظة ، بل الرجعية . ولذلك نلاحظ بانه ، رغم التبدلات العظيمة في احوال العالم منذ اول القرن التاسع عشر لم يتطور مفهوم الجامعة كثيراً في هذه الفترة .

وقد ادى التمسك بمفهوم الجامعة القديم الى مشاكل عديدة أهمها :

١) العلاقة بين الدولة والجامعة .

ان الجامعات التي ازداد عددطلابها واتسعت اعمالها لم تعد لتستطيع ان تعيش الا اذا انفقت عليها الدولة او قدمت لها مساعدات مالية كبيرة. ومن الطبيعي ان تطالب الدولة بحق الاشراف على كيفية صرف هذه الاموال . ولكن حتى اذا استطاعت الجامعات ان تستغني عن مساعدة الدولة فان الحكومات الحديثة لا بد لها من فرض رقابتها على هذه المؤسسات التي تؤثر تأثيرا عميقا في حياة البلاد وتوجيه الامة .

والمشكلة هي كيف يمكن التوفيق بين استقلال الجامعة وحرية البحث العلمي وبين اشراف الحكومة ومراقبتها ؟

تستطيع الجامعة ان تتمتع بقسط كبير من الاستقلال في ادارة شؤونها اذا أصبحت مؤسسة قومية تدرك مسؤوليتها الاجتماعية . .

٢) التوفيق بين الاختصاص والثقافة العامة .

فان تقدم العلوم واتساعها يحتمان اليوم الاختصاص في حين ان فكرة الجامعة تقوم على مبدأ وحدة العلوم وترابطها .

وافضل حل لهذه المشكلة هو ان نربط بين دراسة العالم الواحد وبين معرفة تاريخية وطرائق البحث فيه وعلاقته بالعلوم الاخرى .

٣) التوفيق بين البحث العلمي المجرد والاعداد المهني .

وهذا ممكن اذا تخلينا عن التقاليد البالية التي تفصل بين النظر والعمل وبين الفكر والحياة . واذا كانت غاية البحث العلمي هي السعي وراءالحقيقة فلا يعني ذلك انه يجب اهمال النتائج العلمية . وكما ان المباحث النظرية لا تتوصل الى كشف الحقيقة الا اذا استندت الى المشاهدة والتجربة فان النجاح في الحياة العلمية يتوقف بدوره على المعرفة العلمية-النظرية.

يتضح من كل ذلك ان مفهوم الجامعة الحديث يقتضي الخروج من العزلة الفكرية والاهتمام بحاجات المجتمع ومشاكله .

ومهمة الجامعة هي ان تجمع بين مختلف الاهداف التي درجت على العناية ببعضها دون البعض الاخر . وهذه الاهداف هي : ١) البحث

العلمي ، ٢) التعليم ، ٣) الاعدادالمهني، ٤) التربية الخلقية ، ٥) نشر الثقافة.
واخيرا فان مفهوم الجامعة يتضمن الاخلاص للعلم واحترام الحقيقة والشعور بالمسؤولية ومعالجة جميع المسائل بطريقة علمية قائمة على النقد والحياد والتسامح .

الجامعة نشأتها وتطورها

لفؤاد افرام البستاني

●

مقدمة: ١ـ فوضى الالقاب والنعوت:
١ : في تسمية المؤسسات العلمية: مدرسة ، كلية ، معهد ، جامعة ، دار.
ب : في تسمية المعلمين : مدرس ، معلم ، استاذ .
ج : في تسمية الاولاد فيها : تلامذة ، طلاب .
٢ ـ اقتراح بتحديد كل من هذه الاسماء والالقاب :
١ : في الماضي : حصر معنى المدرسة ، بيت الحكمة ، دار العلم ، دار العلم والحكمة .
ب: في الحاضر: مدرسة: اسم عام لكل مؤسسة تعليمية ، يطلق خاصة على مؤسسات التعليم الابتدائي والتعليم التكميلي .
كلية : مؤسسة التعليم الثانوي الصحيح ، ولا سيما اذا كان داخليا.
مؤسسة تخصصية في التعليم العالي : كلية الطب مثلا .

معهد : مؤسسة تخصصية في التعليم العالي .
جامعة : مجموعة كليات ومعاهد في أطار واحد ، وادارة واحدة .
دار : مؤسسة لتخريج المعلمين او المعلمات .
مدرس : للتعليم الابتدائي .
معلم : للتعليم التكميلي .
استاذ : للتعليم الثانوي والعالي ، مع التمييز بينهما بواسطة النسبة .
التلميذ : للتعليم الابتدائي ، والتكميلي ، والثانوي .
الطالب : للتعليم العالي فقط .
الموضوع : ١ ـ التقليد الجامعي في الشرق قبل العهد العربي :
١ ـ الاسكندرية : فلسفة ، علم ، ادب ، دين .
ب ـ انطاكية : فلسفة دينية متنصرة ، خطابة ، آداب .
ج ـ بيروت : حقوق .
د ـ الرها : فلسفة دينية ، نزعة يعقوبية .
هـ ـ نصيبين : فلسفة دينية ، نزعة يعقوبية .
و ـ حران : فلسفة دينية صابئية علوم : الهيئة او الفلك خاصة .
ز ـ جند يسابور : فلسفة دينية نزعة نسطورية ، علوم : الطب خاصة .
٢ ـ نشأة التعليم الجامعي في العالم العربي :
١ ـ العنصر الديني الاصيل في تأسيس المدارس : « مدارس آيات خلت من تلاوة » .
ب ـ موضوعات التدريس :
ـ التمهيد للعلوم الاسلامية : اللغة وقواعدها وآدابها : ثقافة لغوية ادبية قد تعتبر من نوع التعليم الثانوي في عصرنا .
ـ العلوم الاسلامية : القرآن ، القراءات ، التفسير ، الحديث ، الاصول والفروع ، سيرة الرسول ، الدروس الكلامية .
ـ العلوم الدخيلة : تدريس شيء منها في بعض المدارس .
ـ تطور التعليم الجامعي في العالم العربي :
ـ في القرون الوسطى :
ـ تفصيل البحث في ثلاث مدارس :
ـ الازهر
ـ النظامية
ـ المستنصرية

ـ ملحقات المدارس :
ـ دور الكتب المعروفة بدور العلم او دور الحكمة
ـ المجالس والمحاضرات : رسمية وخاصة .
ب ـ في النهضة الحديثة :
ـ عودة التعليم العالي من الغرب على يد خريجي مدرسة روما ـ سبق لبنان في أيجاد اول مؤسسة فيها تعليم عال : عين ورقة ، سنة ١٧٨٩ ـ النزعة الدينية .
ـ مصر : المدرسة الطبية في ابي زعبل قصر العيني
ـ التفكير بالتعليم الجامعي التام :
لبنان : ـ الكلية السورية الانجيلية (بيروت ١٨٦٦) الجامعة الاميركية .
ـ كلية القديس يوسف (بيروت ١٨٧٥) جامعة القديس يوسف .
مصر : الجامعة المصرية : المشروع الاول ـ التعديل والتجديد .
الازهر : الاصلاح والتجديد .
سوريا : الجامعة السورية .
العراق : كلية الطب . وسائر المؤسسات العالية .
لبنان بعد الحرب العالمية الثانية :
ـ الدروس العليا في الاكاديمية اللبنانية
ـ الجامعة اللبنانية .
النتيجة : مقابلة بين جامعات العالم العربي وجامعات الغرب :
ـ ضعف التقليد عندنا
ـ هبوط المستوى ، اذا صح ، يكون مرده الى ضعف التعليم الثانوي.

اثر الجامعة في حياة العالم العربي

للدكتور نقولا زياده

●

في العالم العربي أربع جامعات تحدرت الينا مع الزمن ، وغلب عليها التقيد والتقليد وهي جامعة القرويين في فاس ، والزيتونة في تونس والازهر الشريف ، وجامعة النجف الاشرف . وقد انجبت رجالا من الطبقة الاولى لكنهم قلائل ، وامدت العالم العربي بالقسم الاكبر من معلميه وقضاته . وتضم ما لا يقل عن خمسة وعشرين الفا من الطلاب .
ولم يبلغ أقدم الجامعات الحديثة

عهدا بعد القرن من حياته . وهي جامعة الجزائر وكانت تضم سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ثلاثمئة طالب جزائري من بين خمسة آلاف طالب . وانشىء في تونس معهد للدراسات العليا تحت اشراف جامعة باريس ، وكان فيه ١٣٦ طالبا قبل اربع سنوات .

وتمركزت الحياة الجامعية في النصف الشرقي من العالم العربي . ففي مصر اربع منها ، وفي بيروت ثلاث ، وفي دمشق واحدة . ولا ينقص جامعة بغداد الا براءة تمنحها الاسم . وقد انشىء اقدم هذه الجامعات تلبية لحاجة شعر بها المهتمون بشئون العلم والتعليم من اهل البلاد او المقيمين فيها . فهدف مؤسسو الجامعة الاميركية وجامعة القديس يوسف الى اعداد القادة والزعماء والموجهين الحياة الجديدة . وهدف مؤسسو الجامعة المصرية الاولى الى اعداد الشباب للعمل المثمر . وقد اتصف من قاموا بتأسيسها بالبطولة والمثالية والتجدد . اما تأسيس الجامعات الحديثة فكل ما اقتضى عمله لتحقيقه هو اقناع اولى الامر بضرورة تأسيسها ورصد المبالغ اللازمة لذلك .

واقتضى اختلاف ظروف انشاء الجامعات اختلاف تطورها . فالجامعات التي اسستها الحكومة فقدت استقلالها واصبحت دائرة من دوائر الدولة .

وقد قامت الجامعات المصرية في جو مثقل بثقافة تقليدية قديمة ، مما فرض عليها نوعا من القيود والحدود. فنشأ نوع من الخصومة بين الجامعات وهذه الثقافة التقليدية زاد في حدتها ان الجامعة الجديدة جاءت في وقت بدات فيه القديمة او خيل اليها انها بدات تتطور وتتجدد . ولم تجد جامعات بيروت ودمشق مثل هذا الجو . ولم يقف المعهد القديم في بغداد بالمرصاد لجامعتها .

ولغة التدريس في جامعة بيروت الاميركية هي الانجليزية . اما في جامعة القديس يوسف وجامعة الجزائر ومعهد الابحاث في تونس فالفرنسية هي لغة التدريس. وبقية الجامعات تتخذ العربية لغة للتدريس .

ويبلغ طلاب الجامعات العرب حوالي ٤٨ الفا بينهم اكثر من ٤٠٠٠ طالبة .

والاتجاه في التعليم الجامعي هو الى توسيعه والاكثار من طلابه . ويتجه معظم الطلاب الى العلوم الجدلية والحقوق والآداب بينما يتجه الطلاب في انجلترا مثلا نحو العلوم والتكنولوجيا . بل ان عدد طلاب الدراسات الجدلية في العالم العربي تضاعف مؤخرا .

وقد طرأ تغير على الاهداف التي اسست الجامعات من اجلها . « فعمقت » الجامعة الاميركية ببيروت اهتمامها بالمعرفة ، فانتقلت من مجرد نشرها الى البحث عنها والتنقيب في خفاياها ، واصبحت جامعة القاهرة تعنى بتشجيع البحوث العلمية والعمل على رقي الآداب والعلوم في البلاد .

ولقد اخرجت الجامعة عددا كبيرا من المتعلمين شغلوا وظائف الدولة . وعلى الرغم من ان هذه الوظائف ملئت فما زالت فلسفة الناس هي ان يتعلموا ليتوظفوا ، مع انه ثمة مهنا حرة يمكنها ان تمتص اضعاف عدد المتخرجين . وقد قامت الجامعة بنشر التعليم وخرجت عددا من المشتغلين بالحياة السياسية والاجتماعية ، وعلمت الكثيرين ماذا عليهم ان يعملو وكيف يعملون .

لكن أترى الجامعة حققت اهدافها الابعد مدى ؟ هل استطاعت ان ترفع مستوى الفكر وتفجر ينابيعه ؟ لم نلحق الجامعة بالجامعة الاوروبية وخاصة في ميادين العلم والتكنولوجيا ولم تخلق في هذا الميادين فئة كبيرة من المتازين . واذا انتقلنا الى الدراسات الانسانية نجد انه يغلب عليها التقليد في الموضوعات والاسلوب والمنهج .

ولم تحقق الجامعة في ميدان الفكر المطلق الا القليل . ويرجع هذا الى العلاقة الوثيقة بينها وبين الدولة والى ان قيامها لم يكن نتيجة صراع فكري وتجارب روحية ونضال عقلي استمر مدة طويلة من الزمن استمر مدة طويلة فاكسبها القدرة على الصمود . وهذا هو عكس الحال في الغرب حيث كان قيامها تتويجا لجهاد صعب مرير اجتازت خلاله شتى الاختبارات وتسنمت القمة من القيادة .

مستقبل الجامعة

للدكتور طه حسين

●

الانسان الحي اليقظ لا يرضى ، فهو ساخط دائما طامح دائما ، يدفعه التشاؤم الى السخط ويدفعه التفاؤل الى شيء من الشجاعة .

اذا اتفقنا على هذا المبدأ فلا بأس على جامعاتنا العربية .

انني لست راضيا عن الجامعات العربية وعن المصرية بوجه خاص . ولكني على ذلك لا احب ان انكر الجميل ولا نعمة الله بنشأة الجامعات.

فالجامعات المصرية اصبحت قوام الحياة العامة من جميع وجوهها : في الطب، في الزراعة في التعليم الخ.

فكيف نقول انها قد فشلت في مهمتها ؟ لقد اتيح لها فوز عظيم لم يتح لكثير من جامعات الغرب . فلقد أيقظت شعوبا ، وشعورا بالوجود الكريم والحرية الاستقلال .

قارن بين بلد كان الصبية يكونون فيه الاجيال فاصبح لا يرضى حتى عن الشباب معلمين له .

الجامعات العربية : ان الشعور بالعزة وتحقيق الكرامة والشعور بمساواة العربي لغيره هو المسؤول عن انشاء الجامعة عندنا .

الجامعة المصرية : لم تهبط من فوق فقد انشأنا جامعتنا في مصر مكابرين الخديوي والانكليز . فأول من دعا الى الجامعة في مصر هو مصطفى كامل واول من قام على شؤونها سعد زغلول .

جامعة دمشق : جاءت نتيجة الشعور بضرورة مساواة العربي للغربيين الذين فرضوا عليه سيطرتهم.

الجامعات الاجنبية : لها جميل لا يجحد لانها سبقت جامعاتنا الوطنية الى الوجود فأيقظت فينا الميل الى المعرفة .

مستقبل الجامعة : لن اكون في حديثي عرافا بل شاعرا . ما عسى ان تكون جامعاتنا ؟ او بالاحرى ماذا نريد ان نكون نحن غدا ؟

نريد ان نكون رجالا ونريد لحياتنا ان تتطور وسبيلنا الى هذا التطور هو الجامعة قبل كل شيء وبعد كل شيء . فالتطور يأتي من ذات نفوسنا بالجامعات وحدها يتحقق التطور

والسبيل الى ذلك هو ان نتيـــح للجامعات ما يتيح لها التطور .

ما ينقص الجامعات : ينقصها كل شيء لانني اريد لها كل شيء :

ـ الحاجة الى ادوات البحث .من معامل ودور كتب ، لا لتعليم الطلاب فحسب بل لمساعدة الاساتذة العلماء ليضيفوا علما الى علم ومعرفة الـى معرفة .

الاساتذة : هل مكنا للاستاذ ان يؤدي واجبه كما ينبغي له ؟ هل اتحنا له ادوات البحث وحياة مادية مرضية؟ ان الاستاذ في جامعاتنا مضطـــر الى التقتير ليوفر اكلاف كتبه وادواته.

مهمة الجامعة : قبل كل شيء ان تتلقى الشباب فتعلمهم كيـــف يصبحون رجالا يتحملون تبعات الحياة، ثم تعـلم فريقا قليلا منهم كيـــف يخلصون انفسهم للعلم وكيف يقفون حياتهم على الاستقصاء .

العلم الجديد يحتاج الى كد وجهد وتعاون بين الجامعات .

الصلة بين الجامعة والدولة : هـل أدت الدولة الى الجامعة ما ينبغـــي ان تؤدي ؟ بخل الدولة على الجامعة.

الصلة بين الجامعة والشعـــب : الشعب يتجنى ويسرف في التجنـي على الجامعة فأين هبات الاغنيـــاء للجامعات ؟ ان النكبة التي تشقى بها الجامعة هي ان الناس في هذه الايام قد تغيروا فاصبحوا يريدون لكـل شيء ثمنا ولكل درهم نفعا عاجلا . شهدنا ان العالم الغربي قد اتيح لـه ما اتيح من القوة والغنى فأردنا ان نخطف الطريق اليه خطفا ، فلمـا فشلنا القينا باللوم على الجامعات .

مشكلة طلاب الجامعات : كل طالب احاط بما ينبغي ان يحيط به الطالب في المدارس الثانوية ينبغي ان تفتح له الجامعة ابوابها ، ولكن يجب ان تكون الجامعة جادة متعصبة ، فبهذا تعطي الامة صفوة الطلبة .

خلاصة : مستقبل الجامعة وضيء ومضيء اذا توفرت لها وسائـــل البحث وتشجيع الدولة والشعب .

الآداب العالمية وترجمتهـــا

●

نشرت الصحف ان الحكومة رصدت خمسين الفا من الجنيهات لترجمة امهات الكتب فـي الادب العـالمي ،

وعهدت الى الدكتور طه حسين في الاشراف على هذا العمل . وهذا تصرف جدير بكل ثناء . فالمكتبة العربية بحاجة الى ان تنقل اليها امهات الكتب في الادب العالمي ، والفلسفة العالمية ، والعلوم والفنون وما اليها .

وقد كان هذا المجهود ملقى حتى اليوم على عاتق الافراد وكانت الدولة لا تشترك فيه باكثر من التشجيع المعنوي ، فكان سيره لذلك بطيئا غاية البطء ، وكان القارىء العربي مفتقرا الى ان يدرس لغة اجنبية اذا هو اراد ان يطلع على الحياة الفكرية في العالم . اما الذين لم يواتهم الحظ بدراسة لغة اجنبية او اكثر ، فقد كان مجالهم مقصورا في حدود الكتب القديمة والمؤلفات العربية الحديثة . والكتب القديمة فيها كثير قيم لا ريب . لكن تقدم العلوم والفنون والآداب في العصر الحاضر جعل الكتب العربية القديمة ادنى الى ان تكون وثائق لدراسة تاريخ عصرها منها الى ان تكون غذاء فكريا للعصر الحاضر . اما المؤلفات الحديثة ، وفيها القيم كذلك، فقليلة بالقياس الى ما ينشر في اي لغة غير العربية ، وقلته تجعل مجال المطلعين عليه اضيق من ان يحيط بالحياة الفكرية العالمية الاحاطة الواجبة لمن يعيش في عصرنا ، والتي تقتضي صاحبها سعة في الافق تتناول الماضي والحاضر وتتناول اقطار الارض جميعا .

فضل السابقين

ولسنا بذلك نغمط حق الافراد الذين توفروا ويتوفرون على ترجمة الكتب الاجنبية الى لغتنا العربية او ننكر فضلهم . بل الامر على العكس . ولن يستطيع احد ان ينكر فضل السابقين من هؤلاء امثال فتحي زغلول وخليل مطران ومحمد السباعي وعبد العزيز محمد وغيرهم وغيرهم ممن ترجموا الكتب الاجنبية في الجيل الماضي . ولا ينكر احد كذلك فضل المعاصرين الذين ينقلون الكتب القيمة الى لغتنا . وامامي الان كتاب (المصري – دنيا سنوحي) الذي نقله الاستاذ حامد القصبي الى العربية وقدم له الدكتور طه حسين ، وهو يشهد بالجهد الصالح الذي بذل في ترجمة هذه القصة الجليلة . وامامي كذلك طائفة من الكتب التي ترجمت بعناية مؤسسة فرانكلين الامريكية والتي تقصد الى التقريب بيننا وبين العالم الجديد . وهذا كله وما اليه من مثله حسن وجدير بكل حمد وثناء لكنه مع ذلك لا يبلغ بنا الى الغاية المرجوة ولا يتيح لقراء العربية الاتصال الكامل بالتفكير الانساني في مختلف صوره الفنية والعلمية والادبية في مختلف العصور وفي مختلف الامم .

العالم العربي يفتقر الى العلم

ونحن حين نتكلم عن المكتبة العربية لا نقف من امرها في حدود مصر ، بل نتخطى هذه الحدود الى العالم العربي كله والى كل مكان يوجد فيه من يقرأون العربية . والعالم العربي المترامي الاطراف من المحيط الاطلسي الى حدود ايران يشعر كله بالحاجة الى تذوق الاثار الفكرية الرفيعة من ارجاء العالم كله ، ويشعر بافتقاره الى العلم بما تنطوي عليه تلك الاثار . وشعوره بهذا قوي غاية القوة . ويزيده قوة ان القرون الاخيرة التي مرت بالعالم العربي ، والتي خضع اثناءها لحكم الاجانب عنه او لحكم ابنائه الجامدين المتعصبين قد ضربت حوله نطاقا من الجمود ، ولا ابالغ اذا قلت من الجهل جعله في عزلة عن حياة العالم العقلية الى مدى بعيد . وهذا العالم العربي قد نفض عنه غبار ذلك الجمود ، وقد فتح عينيه واسعتين يريد ان يلتهم بعقله وقلبه كل ما اثمرته هذه الحياة العقلية العالمية ، لتتاح له الفرصة كاملة كي يعيش مع غيره من دول العالم وشعوبه عيشا كريما ، يبادله علما بعلم وفنا بفن وادبا بادب ، ولا يكون عالة على غيره متخلفا وراءه مكتفيا من الحياة بما يقيم الاود المادي ، ثم يذر الروح الانسانية في غفوتها وغفلتها عاجزة عن ادراك المعاني السامية ادراكا هو وحده الذي يجعلها جديرة بان تستمتع بالحياة استمتاعا انسانيا صحيحا .

تبادل ثمرات العقول

ولا احسب احدا يذهب اليوم مذهب الجامدين من ابناء الجيل الماضي ممن كانوا يظنون اننا في غنى بما عندنا عما عند غيرنا ، وان ما خلفه سلفنا يكفينا ابد الدهر . فذلك راي لا يقول به من يدرك ان العالم يتطور ويتغير ، وانا في حاجة الى تبادل ثمرات العقول مع غيرنا كحاجتنا الى تبادل السلع والمنافع المادية مع هذا الغير . ولنا في سلفنا نفسه اسوة حسنة . ففي العصور الاسلامية الاولى نقل العرب والمسلمون الى اللغة الفصحى فلسفة اليونان وفقه الرومان ، ونقل الذين اسلموا من ابناء فارس صورا من فنونهم وادابهم ومظاهر تفكيرهم فكان لما فعل هؤلاء واولئك اثره في النهضة الاسلامية الاولى ، اذ اقامت هذه النهضة بناء الحضارة العالمية في عصرها وفي العصور التي تلته .

ولا نظن احدا يذهب الى ان السلف الذين نقلوا الى اللغة العربية ما نقلوا من الاداب والعلوم والفنون لم يكونوا يعلمون بما خصهم الله به من فضله، بل هم كانوا يؤمنون بان هذا الفضل يقتضيهم مضاعفة الجهد للاحاطة بحياة الانسانية العقلية والروحية احاطة تجعلهم قادرين على توجيه هذه الحياة الوجهة الصحيحة الجديرة بالانسانية في عصرهم .

نحو عالم افضل

ولم يكن العرب والمسلمون وحدهم هم الذين افادوا من نقل ما خلف غيرهم من الاثار الى لغتهم ليزدادوا بذلك فضلا وقوة ، وليساهموا في بناء الحضارة مساهمة تكفل لهم الكرامة والعزة بين الامم . بل ان الامم التي بلغت من الرقي اكرم مكان هي التي حرصت على نقل التراث العالمي الى لغتها . فليس بين كتب الادب العالمي الرفيع في مختلف العصور ما لم ينقل الى الفرنسية والى الانكليزية والى الالمانية والى كل لغة حية . ولا يقتصر النقل على اثار الجيل الذي تعيش الامة فيه بل يتناول اثار الاجيال كلها فكتب ارسطو وافلاطون ، وكتب العصور الوسطى في اوروبا وآداب الامم المختلفة ذات القيمة – هذه كلها ترجمت الى اللغات المختلفة غير مرة . ترجم شكسبير وملتون وكبار الشعراء الانجليز والكتاب والفلاسفة الى اللغات كلها . وحدث ذلك في شان الكتاب الفرنسيين والايطاليين والالمان والروس وغيرهم . ولغتنا العربية مع الشيء الكثير من الاسف هي التي بقيت متخلفة في نقل الاثار العالمية الرفيعة للاعتبارات التي

اسلفنا والتي لم يبق لها في حياة هذه الامم العربية اليوم موضع . اما وقد نهضت العربية فانا لنطمع في ان تنقل اليها خير الاثار الانسانية لنساير غيرنا من الشعوب في سعيها الحثيث نحو حضارة ارقى وعالم افضل .

الغذاء العقلي والغذاء الروحي

ونقل امهات الادب العالمي الى لغة ما ليس لونا من الترف ولا فرضا من فروض الكفاية ، بل هو ضرورة لا غنى عنها تزيد الحياة القومية تمكينا وتسمو بالمجتمع الى المكانة الواجبة لكل شعب يحترم نفسه . فكلنا نعلم ان الغذاء العقلي والغذاء الروحي من ضرورات الحياة القومية كالغذاء المادي سواء . وما يتغذى به العقل والروح في شعب من الشعوب هو القياس لدرجة الرقي التي بلغها هذا الشعب . فاذا كان هذا الغذاء فجا رخيصا ، كان الشعر الذي يتغنى به الشعب والقصص الذي يصور للشعب الوان الحياة من النوع الرخيص لم يكن ذلك دليلا على انحطاط الشعب وكفى، بل كان كذلك دليلا على تحلل روابطه وتفكك اوصاله . اما اذا كان الغذاء العقلي والروحي الذي يقدم للشعب دسما وكان الشعب قادرا على اساغته وهضمه فذلك شاهد على قوة ما بين عناصر هذا الشعب من روابط وعلى ان ابناءه حين يتحدثون فيما بينهم يصورون رغائبهم وامالهم ويرتفعون بتفكيرهم الى المستوى الذي تحتوي عليه الاداب التي يقراونها ويستطيعون بهذا السمو الفكري ان يكونوا قوة توجه حياة العالم في اكرم الميادين واسماها .

اما ولنقل الاداب العالمية هذا الاثر فانا ارجو الدكتور طه حسين ونرجو من يعنيهم الامر ان يضيفوا الى النقل وضع تراجم وافية لمن ينقلون اثارهم ومن كبار الشعراء والكتاب . فتفكير الكاتب واسلوبه وطريقة تصويره للحياة تتأثر الى حد كبير بحياتههو. بوراثته وتربيته الاولى وبالبيئة التي نشأ فيها وبحياة قومه في نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . هو في الواقع ثمرة لهذا كله ، فالترجمة له ترجمة وافية ، تعاون على فهم اثاره فهما صحيحا . وما من كاتب او شاعر او مفكر ، الا ترجم له في اللغات المختلفة ترجمة وافية . ان هذه الترجمة تقتضي جهدا لا يقل عن الجهد الذي يحتاج اليه النقل من لغة الى لغة ان لم يزد عليه ، لكن الترجمة للعظماء تكمل اثارهم وتبرز لقارئها اسرار تفكيرهم ودوافع هذا التفكير . ومعرفة هذه الاثار تزيد في حسن تصور ما خلفه العظيم من اثر .

ورجاء اخر اوجهه لمن انعم الله عليهم بالسعة في الرزق . ان ما رصدته الحكومة لهذا العمل الجليل رمز صالح ، ولكنه لا يكفي للنهوض بهذا العمل . فهل لهؤلاء الاغنيا ان يساهموا في هذا العمل العظيم ؟ نرجو ان تقدر المؤسسات وكبار الاغنياء انهم حين يقومون بهذهالمعاونة انما يؤدون واجبا عليهم لوطنهم وللعربية كلها . وخير الناس من ادى واجبه في الحياة .

والله يجزي من احسن عملا .

[اخبار اليوم] **محمد حسين هيكل**

ترجموا الكتب العلمية اولا

•

يجب ان نثني الثناء العظيم على حكومتنا ليقظة رجالها بشأن ارتقائنا الثقافي الى جنب ارتقائنا الصناعي والزراعي

فقد ذكرت الصحف انها ستكلف الجامعة العربية ترجمة الامهات من الكتب الاوربية ، وانها على استعداد لان تنفق على هذا المشروع الثقافي ٥٠ او ٦٠ الف جنيه .

وهذا المشروع ، اذا احسن القيام به ، سوف يكون جديرا بان يرقى بالشرق العربي وينقله الى طور جديد في التفكير العصري لتناسق حياة ابنائه مع التطور العصري، وترحب قلوبهم وعقولهم بالجديد في هذه الدنيا وتاخذ عندهم العقلية العالمية مكان العقلية الشرقية .

ولكن هناك صعوبة تكاد تكون عقدة في هذا المشروع .

وهي : ماذا نختار من الكتب للترجمة ؟ •

ثم باية لغة نترجم ؟

والاجابة البدهية لهذين السؤالين هي اننا يجب ان نختار احسن الكتب. واحسنها هو ما نحتاج اليه اكثر مما نحتاج الى غيره في ظروفنا القائمة ودرجة التطور الثقافي التي بلغناها .

نختار الاحسن من الكتب ونؤثره على الحسن .

وليس المعنى ان نترك الحسن . وانما نعجل بالاحسن ونؤجل الحسن.

اما اللغة التي نترجم بها فيجب ان تكون لغة الشعب التي يفهمها النجار والحداد وشيخ الخفر وعامل المصنع والمزرعة . وليست هذه اللغة هي اللغة العامية وانما هي اللغة التي وصلت اليها اذواق القراء والمؤلفين في الصحافة والتاليف العصري العربي .

كيف نختار هذه الكتب ؟ او بالاحرى ماذا نهدف من الترجمةحتى نختار الاحسن ؟

ان هناك مؤلفات قديمة وحديثة في الفلسفة والادب والعلم . ونحن نهدف من الترجمة الى ترقية ابناء مصر والشعوب العربية . فما هي المؤلفات التي تعمل لرقيهم الذهني ورخائهم الاقتصادي وارتفاعهم الروحي وقوتهم الحربية ؟

ان مرض الشرقيين هو الفقرالذي يجلبعليهم الجهل والمرضوالاستعمار والاستغلال .

واعظم ما يمكن ان نعالج به الفقر هو الصناعة . ولسان الصناعة هو العلم الذي يوضح اساليبها ويعين موادها .

واذن ما نحتاج اليه ، نحن الشعوب العربية، هو العلم، هو الكتب العلمية. وليس هو كتب الادب او الفلسفة .

وارجو ان انبه القارىء مرة اخرى الى ان هناك الحسن والاحسن في الكتب والتمييز بين الاثنين يتوقف على حاجتنا وحالنا . فليس شك ان في اوربا مؤلفات حسنة في الفلسفة والادب . ولكن هناك ، ازاء حاجتنا وحالنا الحاضرين ، مؤلفات اخرى احسن منها وهي المؤلفات العلمية .

وارجو الا يتغنى المغنون هنا بان الادب والفلسفة هما الانسانية . وهما المثل الاعلى وهما الروحيات قبل الماديات .. الخ ..

لاني استطيع ان اقول اني قرات كل ما يقرا من كتب الادب والفلسفة ولكني قرات ايضا كتب العلم . وعرفت ان العلم وحده هو الذي

يغيرنا الى أعلى وينهض بنا الى مستوى الحضارة الاوربية .

ولن تستطيع كتب الادب او الفلسفة ان تغيرنا او ترفعنا الى مستوى الحضارة الاوربية . ونحن في حاجة الى نهضة عامة في الهندسة والطب والزراعة والصناعة . أي اننا نحتاج الى كتب العلم التي نفهم منها هذه الاشياء ونغير بها بلادنا وشعوبنا

اننا نستطيع ان ننقل الى لغتنا مؤلفات موليير ، وشكسبير ، وجيته ، ودستوفسكي واوسكار وايلد في الادب . ولكننا لن نتغير بهذه الكتب.

ونستطيع ان ننقل الى لغتنا مؤلفات افلاطون ، وكانت ، وهيوم ، وهيجل ، وكوير كجارد في الفلسفة، ولكنها لم تغيرنا .

انما الذي يغيرنا هو المؤلفات العلمية التي تكشف لنا عن المعارف والمبادىء الجديدة وتجعلنا نتفزز وتتنبه وناسف على ماضينا ونستبشر بمستقبلنا ، هذه الكتب وحدها هي التي يمكن ان تبعثنا على الاقدام فنغير بلادنا وننهض الى مستويات متوالية في العلو نحو الحضارة المثلى .

اني لا اعرف رجلا في الشرق انهض وابصر بالمستقبل من نهرو زعيم الهند ، بل زعيم آسيا . واني لاقرأ كتاب الثورات الكبرى الذي نقله احمد بهاء الدين من مؤلف كبير لنهرو عن تاريخ العالم . ونهرو يذكر عدة ثورات. ولكنه لا ينسى ان يعد« نظرية التطور » احدى هذه الثورات الكبرى. ولذلك عقد فصلا عنوانه « داروين وانتصار العلم » .

ان نهرو يبني امة الهند بالعلم ، بنظرية التطور التي الفت انا عنها كتابا قبل ثلاثين سنة . ونالني من السباب بسببها ما لم انته الى نهايته.

ان ما يجب ان ننقله عن اوربا هو العلم وانا لذلك اقترح ان تترجم هذه الكتب التالية :

ــ كتاب عن البترول ما اصله وكيف يستخرج وما قيمته في الصناعة والنقل والحرب ؟ لان هذا الكنز الذي ظهر عند الشعوب العربية يجب ان نعرفه حتى ننتفع به

ــ كتاب عن جيولوجية مصر اي تاريخ وادينا منذ ثلاثمائة او خمسمائة مليون سنة وما يحتوي من كنوز .

ــ كتاب عن الذرة . بل كتب عن



١٨ أبريل ١٩٥٥ ـ افتتح في باندونغ باندونيسيا مؤتمر الدول الاسيوية والافريقية الذي يشترك فيه مندوبون عن ٣٤ دولة من القارتين . ويتضمن جدول الاعمال التعاون الاقتصادي ، التعاون الثقافي ، قضية الاقطار غير المتمتعة بالحكم الذاتي ، حقوق الانسان ومبدأ تقرير المصير ، تدعيم السلم العام والتعاون بين الدول .

ـ اقيل ايمري ناجي رئيس الوزارة المجرية من منصبه كما طرد من اللجنة السياسية لحزب العمال الهنغاري الشيوعي .

١٩ ـ سلمت الحكومة السوفياتية ، ممثلي امريكا وبريطانيا وفرنسا مذكرة تقترح فيها عقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الاربع في العاصمة النمسوية ويشترك فيه مندوب عن النمسا لتوقيع معاهدة الصلح مع النمسا .

ـ عقد في عمان قران الملك حسين ملك الاردن على الاميرة دينا عبد الحميد عون

٢١ ـ جاء في خطاب لسكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي العام الرفيق خروشتشيف قوله : على الرغم من اننا اعداء للرأسمالية فاننا من انصار التعايش السلمي بين النظامين لان في ذلك الحل الوحيد المعقول .

٢٢ ـ وقع في باريس اتفاق سباعي النقاط باستقلال تونس الداخلي على ان هذا الاتفاق لا يزال مبدئيا . وقد رفع الخطر المفروض على الزعيم الحبيب ابو رقيبة من الدخول الى تونس .

٢٣ ـ قامت الحكومة السورية بسلسلة اعتقالات في صفوف اعضاء الحزب السوري الاجتماعي على اثر اغتيال العقيد الركن عدنان المالكي بدمشق امس بيد يونس عبد الرحيم الرقيب في الجيش والذي انتحر .

ـ اصدر شوان لاي رئيس وزراء الصين الشعبية بيانا في باندونغ اعلن فيه انحكومته مستعدة للدخول في مفاوضات مع الولايات المتحدة لتخفيف حدة التوتر في الشرق الاقصى وان الشعب الصيني يشعر بالمودة نحو الشعب الامريكي ولا يرغب في الدخول بحرب مع امريكا .

ـ اصدرت الخارجية الامريكية بيانا علقت فيه على تصريح شوان لاي قالت فيه انها ترحب بكل جهد مخلص لدعم السلام ولكنها بحاجة الى ضمانات لهذا الاخلاص .

٢٥ ـ اعلنت بيعة الامير محمد البدر وليا لعهد اليمن وابلغ ذلك الى الحكومات العربية والاجنبية .

٢٧ ـ اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة وافقت على مفاوضة الصين الشعبية لحل قضية فورموزا سلميا وقال بانه يشعر شعورا تاما بان حدة التوتر بين الشرق والغرب آخذة بالتضاؤل وقد صرح بان مراسلات قد بدأت منذ وقت قريب بينه وبين الماريشال جوكوف وزير الدفاع السوفياتي .

٢٨ ـ صوت البرلمان النمساوي على مبدأ حياد النمسا من المعسكرين الشرقي والغربي .

٢٩ ـ انتخب السنيور جيوفاني غرانشي رئيسا للجمهورية الايطالية وهو زعيم الجناح اليساري في الحزب الديموقراطي المسيحي وكان رئيسا للمجلس النيابي ويبلغ ٦٨ عاما .

ـ اكتشفت مؤامرة في الارجنتين تهدف الى قلب نظام الحكم .

٣٠ ـ عقدت في سايغون هيئة سياسية اسمها « الجمعية الثورية الديموقراطية للفيتنام الجنوبية » اجتماعا اعلنت فيه خلع الامبراطور باوداي وتأييد رئيس الوزراء انغو دنه ديم الذي طلبت اليه تشكيل حكومة جديدة واجراء انتخابات لاعادة السلطة الى الشعب واعلان الجمهورية .

٢ مايو ١٩٥٥ ـ رفع العلم العراقي على مطاري الحبانية والشعيبة وقد تسلمها العراق من الجيش البريطاني في حفلة عسكرية كبرى .

ـ تجدد القتال في سايغون على نطاق واسع بين جيش الحكومة وبين جيش الثوار . وقد اعلن ان فرنسا تعارض بشدة اية حركة ترمي الى خلع الامبراطور باوداي .

٤ ـ صرح نصرالله انتظام وزير الخارجية الايرانية بان ايران لن تسمح لاي دولة اجنبية بانشاء قواعد حربية في اراضيها

٥ ـ استردت المانيا سيادتها واصبحت دولة حرة مستقلة اعتبارا من ظهر اليوم بعد مضي عشرة اعوام على احتلالها وذلك بعد ان تم تسليم وثائق التصديق على اتفاقات باريس الى المستشار اديناور .

٦ ـ اجرى السيد عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية الذي يزور بلغراد محادثات هامة مع الحكومة اليوجوسلافية بخصوص الحلف البلقاني والمشاكل العالمية .

٩ ـ انضمت المانيا الغربية رسميا الى منظمة الدفاع الغربية حين احتل مستشارها الدكتور ايدناور مقعده في مجلس حلف شمالي الاطلسي . ومن القضايا التي سيبحثها المجلس المنعقد في باريس وسائل تخفيف التوتر بين الشرق والغرب والاتفاق على القضايا المعلقة بين المعسكرين .

١٠ ـ سلمت الدول الغربية الثلاث مذكرات متشابهة الى وزارة الخارجية السوفياتية تقترح فيها عقد مؤتمر رباعي لبحث المشاكل الدولية يحضره ايزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة وايدن رئيس وزراء بريطانيا وبولغانين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي وادجار فور رئيس وزراء فرنسا

١٢ ـ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة وفرنسا على ادارة الشؤون العامة في جنوب الهند الصينية وينص الاتفاق على ان يبقى باوداي امبراطورا ورئيسا للدولة على ان يقيم في فرنسا وتكون سلطاته محدودة ويبقى دييم رئيسا للحكومة وتجلو القوات الفرنسية تدريجيا عن الفيتنام .

ـ قدم السنيور شيلبا رئيس وزراء ايطاليا استقالة حكومته

١٤ ـ انتهت اعمال مؤتمر دول اوروبا الشرقية وقد وقعت على معاهدة صداقة وتعاون ومساعدة متبادلة بينها وهي الاتحاد السوفياتي وبولونيا والمجر والمانيا الشرقية وتشكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا والمانيا . وقد عين المارشال السوفياتي ايفان كونييف قائدا اعلى للقوات الموحدة واختيرت موسكو مقرا لهيئة الاركان .

١٥ ـ وقعت معاهدة الصلح بين الاربعة الكبار وبين النمسا ومن نصوص المعاهدة ان تكون حدودها كما كانت في اول يناير ١٩٣٨ ويتم جلاء قوات الاحتلال عن اراضيها قبل ٣١ من شهر ديسمبر .

١٧ ـ تجري محادثات في دلهي بين السيد محمد علي رئيس وزراء الباكستان والبانديت نهرو رئيس وزراء الهند بصدد قضية كشمير .

١٨ ـ استقال الدكتور دريك رئيس الوزارة الهولندية

١٩ ـ وصل الى دمشق السيد توفيق السويدي رئيس الوزارة العراقية الاسبق موفدا من الحكومة العراقية لاجراء مباحثات مع الحكومة السورية حول الميثاق العربي الثلاثي المقترح .

٢٠ ـ اعلن في كينيا فشل المفاوضات بين السلطات البريطانية وزعماء الماو ماو .

مطبعة العمال اللبنانيين ـ الحازمية
تلفون ٣١٦٧٤